مجلة أوام الثقافية

فصلية، غير ربحية، مستقلة، العدد الثاني

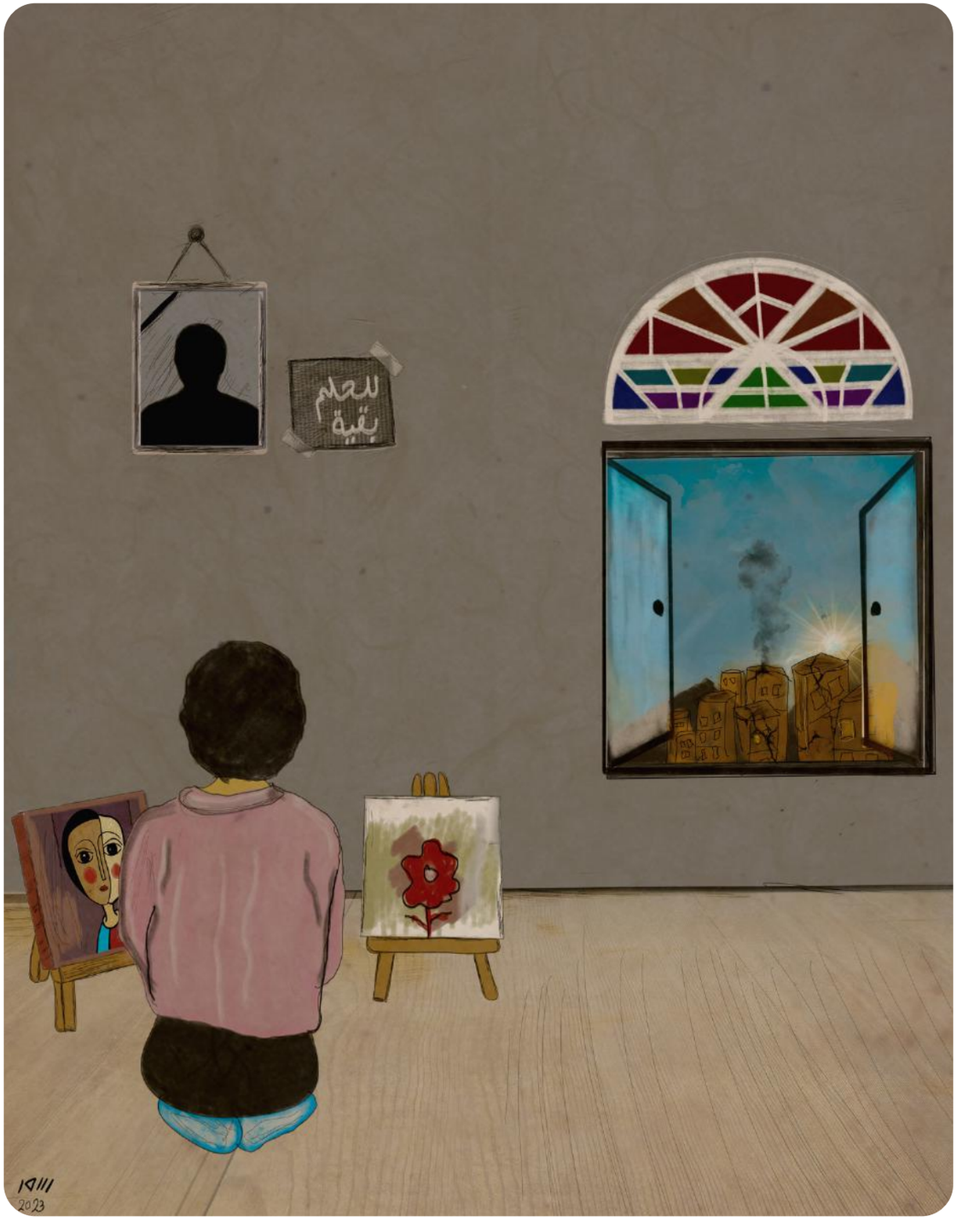

awamcm.de @awamcm info@awamcm.de

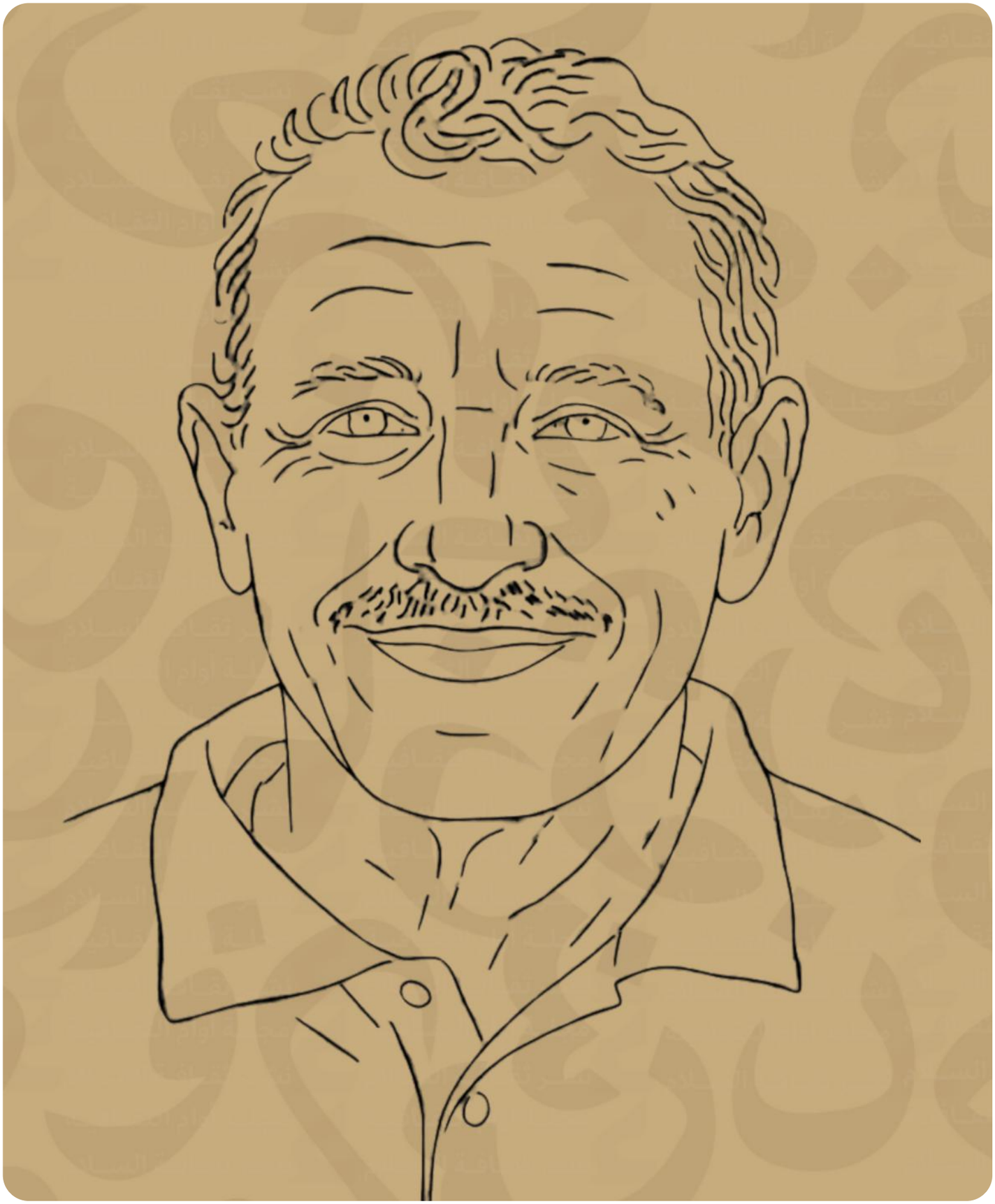

- الروائي الغربي عمران. حقوق هذه اللوحة للمجلة.
- لوحة الغلاف من أعمال الفنان: سعد الشهابي، محرر المجلة للمحتوى المرئي.

رئيس التحرير:
بشار العقاب

مدير التحرير:
عبده تاج

المحررة المسؤولة:
ذكريات عقلان

المحرر المسؤول:
طه العزعزي

المحررة اللغوية:
زينب الحداد

محرر المحتوى المرئي:
سعد الشهابي

مسؤول العلاقات العامة:
جابر الصلاحي

مسؤولة المتابعة و التنسيق:
سلا القحطاني

التدقيق اللغوي:
محبرة للتدقيق اللغوي والتحرير
+967738005881

فصلية ،غير ربحية، مستقلة، العدد الثاني

لنشر ثقافة السلام

الفصل الثاني - 2025

مجلة أوام الثقافية

مجلة ثقافية ، فصلية ، غير هادفة للربح ، نسعى . من خلال الأدب . لنشر ثقافة السلام و التعايش .
مجلة أوام الثقافية مستقلة و لا تتبع أو تستقي أوامر أي جهة سواء كانت حكومية أو مكوّن سياسي أو ديني أو تنظيمي غير ربحي .

موقع المجلة

ألمانيا . كلاوستال تسيللرفيلد . شارع برلينر . 8
(Clausthal - zellerfeld . Berliner Str.8 , Germany)
اليمن . صنعاء
(Sanaa , Yemen)
تبث المجلة على موقعنا الالكتروني الرسمي (awamcm.net) و النطاق المحلي الألماني
(awamcm.de) بالإضافة إلى نشرة بريدية لأهم المواضيع و مجلة الكترونية فصلية .

النشر :

نستقبل مشاركاتكم باسم رئيس التحرير . يرجى قراءة سياسة الخصوصية و النشر قبل ذلك . عبر البريد إلى موقعنا التالي :
ألمانيا . كلاوستال تسيللرفيلد . شارع برلينر . 8
(Clausthal - zellerfeld . Berliner Str.8 , Germany)
أو على إيميل التحرير :
editor@awamcm.de

الحقوق الثقافية :

جميع الحقوق الفكرية محفوظة للمجلة و لا يجوز الاقتباس أو إعادة النشر إلا بذكر
المجلة و الصفحة كمصدر .
لأن مجلة أوام الثقافية غير ربحية فهي تسمح بطباعة هذا العدد من المجلة و تداوله و بيعه .

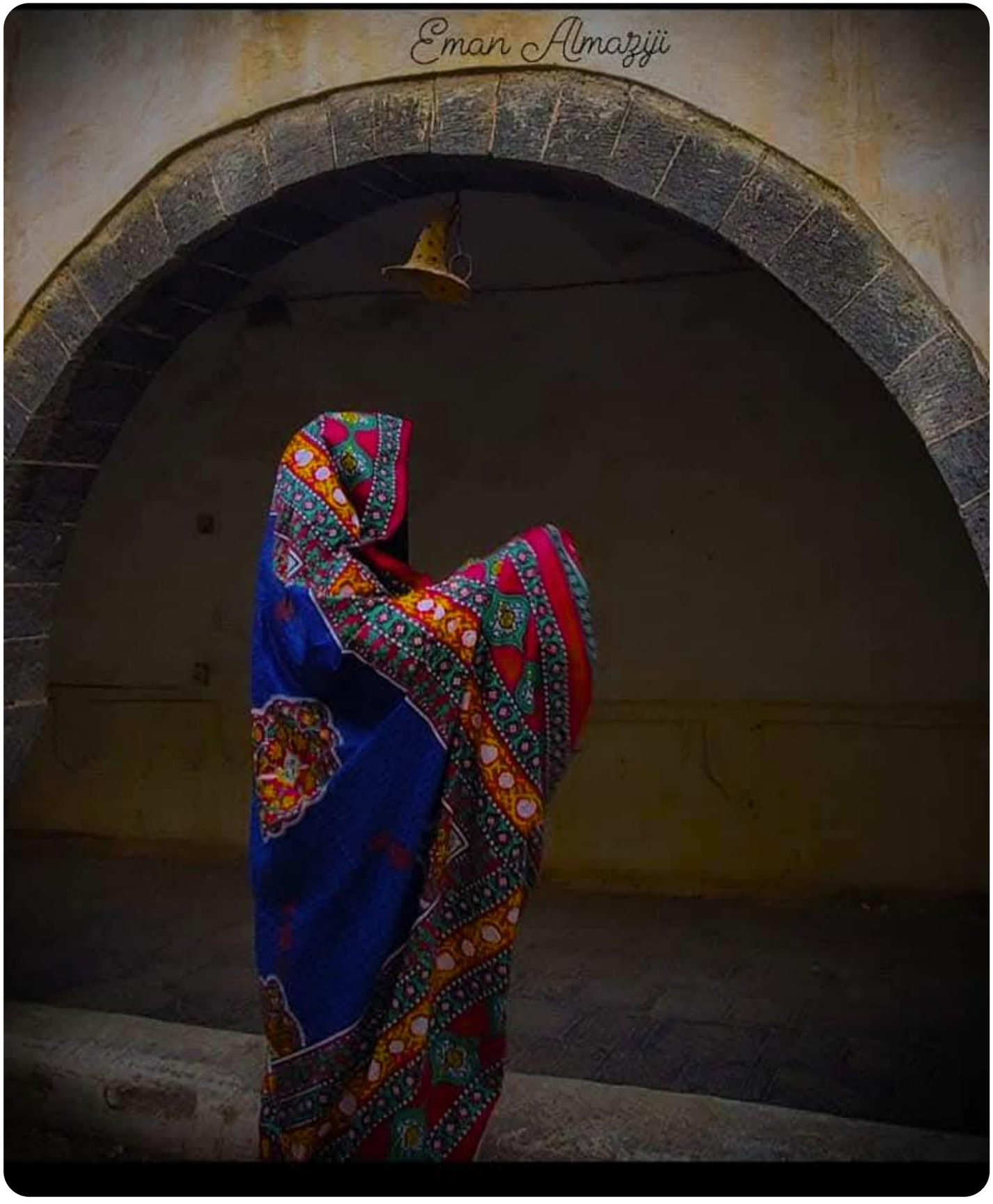

- **الصورة بعدسة: إيمان المزيجي.**

سيــاسـة الخصــوصيـة

أ مجلــة أوام الثقــافيــة غيــر ربحيــة، و النشــر فيهــا طــوعي و ليســت - بالضــرورة - ملــزمــة بــأي مــردودات مــاليــة للكُتــاب.

ب مجلــة أوام الثقــافية مستقــلة، و لا تتبــع أو تستقــي أوامــر أي جهــة ســواء كــانــت حكــوميــة أو مكــوّن سيــاســي أو دينــي أو تنظيمــي غيــر ربحــي.

ج مجلــة أوام الثقــافيــة منفتحــة علــى كــل الآراء و الأفكــار و الحلــول، و تسعــى لإيجــاد وجهــة نظــر يجتمــع حــولها المختلفــون.

د مجلــة أوام الثقــافيــة لا تتبــع أو تــزّوج لأي عقيــدة أو فكــر دينــي أو سيــاســي ... إلخ.

هـ مجلــة أوام الثقــافيــة لا تستقــبل أي آراء متطــرفة، ضــد أي شخــص أو مجتمــع أو كيــان أو حكــومــة.

و مجلــة أوام الثقــافيــة لا تستقبــل أي آراء عنصــرية أو منــاطقيــة أو مــذهبيــة دينيــة.

سيــاسـة النشــر

أ المــواد المــرسلــة يجــب أن يكــون لهــا اتصــال بالأدب أو الــفن أو الثقــافة .

ب المــواد المــرسلة للمجلــة لا ترســل إلى أيــة جهــة أخرى للنشــر، و إلا سنتــوقــف -آسفــين- التعــامــل مع أصحــابهــا.

ج المــواد المــرسلــة يجــب أن تكــون من حــروف صــاحبهــا و يسمح بالاقتبــاس مــع ذكــر المصــدر بالتحــديــد و إلا سنتــوقــف عــن التعــامــل مــع أصحــابهــا حفــاظــاً للحــقوق الفكــريــة.

د المــواد المــرسلــة يجــب أن تلتــزم بقــواعــد الكتــابة النحــويــة و الإمــلائيــة.

هـ المــواد المــرسلــة يجــب أن تخلــوا مــن أي نــزعــة دينــيــة أو عــرقيــة ... إلخ.

و لا يجــب أن تــزيــد المــواد المــرسلــة عن 6000 كلــمة و لا تقــل عــن 500 كلمــة باستثــنــاء الشــعر.

ز المــواد المنشــورة تعبــر عــن وجــهة نظــر كُتــابهــا، و المجلــة ليســت مســؤولــة عمــا يُــراد بهــا مــن آراء.

ح المــواد المــرسلــة للمجلــة ـ ســواء نشــرت أم لم تُنشــر ـ لا تُــرد لكُتــابهــا إلا ببــريــد مــوقــع مــن رئيــس التحــريــر أو مــن ينــوب عنــه.

الافتتـاحيـة

10 ذاكرة الحجر وهمس الأرواح.

بشـار العقـاب، رئيس التحرير.

ملـف: صنعاء عاصمة الضوء!

15 لماذا صنعاء؟

إعداد و تقديم : عبده تـاج، مدير التحرير.

17 محاور رئيسية لبناء الدولة اليمنية الحديثة.

عبدالباري طاهر.

19 مساكن مدينة صنعاء القديمة اليوم: روح بلا أنسنة...

د.م. آلاء أحمد الأصبحي.

24 على صوت اللحن الصنعاني... صنعاء ضحية لملاحتها.

أحمد عثمان.

33 جدتي الصنعانية. .. نوستالجيا المدينة التاريخية وشدة الحنين.

طه العزعزي، المحرر المسؤول.

36 ذاكرة مدينة تتآكل: صنعاء والثقافة في زمن الغياب.

عبير اليوسفي.

38 صنعاء: عبق التاريخ وأسرار السياسة.

جابر الصلاحي.

39 صنعاء: بين ضوء التاريخ وظلال الحلم.

يونس الشهاري.

41 صنعاء: حين يسكنني المكان.

ثابت القوطاري.

لقـــاءات أوام

43 **الروائي الغربي عمران:**

الدين في جميع رواياتي يُعد عائقًا. فبعد أن شرذمته الجماعات إلى مذاهب للتناحر، جعلونا أمة متخلفة لا نقبل بالآخر، ولا حتى ببعضنا البعض.

حاورته: سلا القحطاني.

أعلام أوام: الغربي عمران.

50 **الغربي عمران: ظلّ المدينة الذي دوّن نداءها.**

إعداد و تقديم : ذكريات عقلان، المحررة المسؤولة.

53 **رحلة على متون الزمن.**

زيد الفقيه.

55 **شهادةٌ في حقّ أخٍ وصديقٍ مبدع: الغربي عمران.**

عبير العطار.

57 **محمد الغربي أكثر من روائي.**

د. نادية الكوكباني.

دراسات

59 خلطة فنية للتاريخ بين الواقعي والمتخيل.

د. أحمد السري

64 صورة الشخصية المستلبة في رواية (الثائر) للغربي عمران.

علي أحمد عبده قاسم.

71 الخطاب السردي الأحدث بين السياسي والأيديولوجي في رواية "بر الدناكل ".

عبدالفتاح اسماعيل.

قصص وسرد

77 بين يدي البحر.

مياسة النخلاني.

80 بائعة الريحان.

علي العجري.

85 ليلة قصيرة.

آيه بدر.

33 عندما ينتهي شيء ما.

أسماء خليل.

شعر و نصوص

91 روح الياسمين.

زينب الحداد.

93 شباك مهجور.

ليلى حسين علي.

95 ألق باهت جداً.

حسين إبراهيم.

آراء وأفكار

97 المخطوط اليمني في المهجر: نهب معرفي أم توثيق حضاري؟

رياض عبدالله الفرح.

100 الفلسفة بين العقل والوحي: قراءة في فصل المقال لابن رشد.

خالد اليماني.

تراث و أمكنة

103 ظل يس.

إيمان البشاري.

104 صنعاء بلسان أهلها: أناقة اللهجة وجمالها.

عفاف قليس.

- **من أعمال الفنان: سعد الشهابي، محرر المجلة للمحتوى المرئي.**

ذاكرة الحجر وهمس الأرواح.

بشــار العقــاب

ثمة مدن لا تُشبه غيرها، لا تُشبه حتى نفسها في المرآة. مدنٌ تَعبُرها فلا تنتهي منك، تبتعد عنها وتظلّ تتكاثر فيك، وصنعاء، في البدء والنهاية، ليست مكانًا نمرّ عليه، بل ذاكرة تمشي على قدمين، مدينة تحيا بالحجر وتتكلم بهمسات الأرواح.

هنا، لا تصمت الجدران، بل تتذكر. لا تمرّ الرياح عبثًا، بل تُفتّش عن أصوات من رحلوا. ولا تنام المدينة، حتى وإن أطفأوا أنوارها، لأن في قلبها وهجًا لا يخفت، وحكايات لا تشيخ.

في هذا العدد الثاني من "مجلة أوام الثقافية"، نفتح النوافذ على صنعاء كما نعرفها: كائن حي، يتنفس من شقوق الحنين، أنثى محاصرة بالحياة والموت معًا، وأمّ تحفظ أسماء الغائبين، وتخبّئ تحت عباءتها وجع السنين.

صنعاء كائن حي ينام بصعوبة، يصحو متعبًا، ويحفظ في تجاعيده أسرار الذين مرّوا. تتكئ بيوتها القديمة على بعضها كعجائز يروين القصص في آخر النهار. الجدران فيها تُشيّد بالحكايات، بالحزن، بأصوات الأطفال الذين كبروا فجأة، بالنساء اللواتي لم ينتظرن، بالرجال الذين اختفوا ذات فجر ولم يعودوا.

المآذن تنظر بصمت، كأمهات تُراقب أبناءها من بعيد. النوافذ الخشبية مواربة، تخاف أن تُفتح كلّها مرة واحدة فتفيض بالوجع. صنعاء تعرف من أنت حين تمشي فيها، تتلمّس نبضك، تهمس لك بأسماء نسيتَها، وبذكريات لم تكن تعلم أنك ما زلت تحتفظ بها.

لا تحتاج أن ترى دبابات أو رصاصًا لتعرف أن حربًا مرّت من هنا. يكفي أن تنظر إلى العيون: تلك التي فقدت بريقها، أو إلى الوجوه: التي تبتسم وهي تبكي من الداخل. صنعاء مدينة خُذلت كثيرًا.

الرصاص لم يثقّب الجدران فقط، بل ثقّب الذاكرة. صار للطفولة ظلّ رمادي، وللمستقبل طعم الخوف. الحرب في صنعاء ليست خبراً عابرًا، بل أنفاس تُسحب يومًا بعد يوم من صدور الناس. المدينة لم تعد تحب الحديث، صارت تكتفي بالنظر، ترد على الأسئلة بصمتها الثقيل.

المرأة في صنعاء تشبه المدينة تمامًا: جميلة رغم التعب، صامتة رغم الصراخ، صامدة رغم القهر. وجهها يشبه شُرفات المنازل القديمة: متشقّق لكن ساحر. في مشيتها صوت المطر، وفي عينيها ألف قصة لم تُكتب بعد.

هي الأم، الحبيبة، الأخت، الرفيقة، والغائبة في الوقت ذاته. تُصنَع باسمها القوانين، وتُخرس باسمها الأحاديث. لكن صوتها، رغم كل شيء، لا يزال هناك، خلف الباب، في الأغنية، في القصيدة، في تلك الالتفاتة العابرة التي تُذكّرك بأنّ الحياة لا تزال تحاول.

المرأة في صنعاء ليست نصف المجتمع. هي روحه، قلبه، صبره، ومرآته حين لا يريد أن يرى نفسه.

صنعاء لا تسكن فينا بنفس الطريقة. لكل واحد منّا مدينته الصغيرة التي نسجها من الذكريات: شارع نمرّ به كل صباح، بائع نعرف صوته، نافذة أحببنا منها أحدًا ثم أغلقها الزمن. المدينة ليست مكانًا فقط، بل شريطًا حيًا من التفاصيل التي لا يمكن إعادة تصويرها.

لكن العجيب أن ذاكرتنا الفردية، مهما كانت شديدة الخصوصية، تتشابك بخيوط خفية مع ذاكرة الآخرين. نجتمع في الحنين نفسه، ونذرف الدمع على المشهد ذاته دون أن نعرف. كأن المدينة تعيش داخلنا أكثر مما نعيش داخلها.

الحنين ليس ضعفًا، إنه بقايا عناد في قلبٍ لم يشأ أن يتأقلم مع القبح. في صنعاء، الحنين هو السلاح الوحيد الذي لا يُصادَر. نختبئ فيه من الواقع، نربّي فيه أحلامنا الصغيرة، ونقاوم به النسيان. لأن النسيان هو الهزيمة الأخيرة، ونحن لا نملك ترف الاستسلام.

نحن نكتب، نحب، نحلم، ونحكي لأننا نُقاوم. نُقاوم بمزاج شاعر، وأحيانًا بروح طفلٍ يصرّ على أن يتذكّر شكل السماء في طفولته.

الأرصفة تمشي بحذر. النوافذ مواربة، خوفًا من أن يدخل الضوء أكثر من اللازم. المدينة مذ ألف سنة تعرف أنها لا تُحكم، بل تُكتم. لكنها تتنفّس رغم كل شيء. بالحكاية، بالقصيدة، بنظرة امرأة لا تزال تؤمن أن الحرية ممكنة.

ساعة الحائط القديمة لا تزال تشير إلى نفس اللحظة التي انكسر فيها شيء ما بداخلنا. الغروب هنا أبطأ، فالشمس ترفض أن تودّع مدينة لم تعد تُشبه نفسها.

صنعاء تعيش في فجوة زمنية مفتوحة: بين الماضي الذي ترفض أن تودّعه، الحاضر الذي لا تريد أن تعيشه، والمستقبل الذي تخاف أن تنظر إليه. ثمة شيءٌ لا نعرف له اسمًا، لكنه يُبقيها واقفة.

في كل ركن من صنعاء جزء من هويّتنا. ليس لأننا فقط عشنا فيها، بل لأنها شكّلتنا. المكان لا يعطينا الجدران فقط، بل يعطينا شعور الانتماء، الإحساس بالأمان، بالمعنى. وعندما يتشقق المكان، تبدأ هويّتنا بالتشظي.
كلّما تغيرت المدينة، غيّرتنا. وحين يسرق أحدهم ملامحها، يصير من الطبيعي أن نفقد ملامحنا نحن أيضًا. نتلعثم حين نعرّف أنفسنا. نصير غرباء في شوارع حفظناها بأقدامنا، في مدن وُلدنا فيها ولم نعد نعرفها.
الهويّة ليست شعارًا. إنها حجرٌ نلمسه، رائحة نعرفها، غناءٌ نسمعه، وطفولةٌ آمَنة ضاعت فجأة.

الكتابة عن صنعاء ليست ترفًا أدبيًا. فحين لا نملك تغيير الواقع، نكتبه. نؤرّخ للوجع، نمنحه معنى، لعلّه لا يصبح عبثًا مطلقًا. نكتب كي لا تختفي المدن مرتين: مرة من الواقع، ومرة من الذاكرة.

نحن لا نكتب صنعاء كما هي، بل كما نخاف أن تُنسى، كما نحاول أن نُنقذها من التلاشي. الكتابة فعل حبّ، وفعل مقاومة، وفعل وفاء للمدينة التي كانت، والتي لا تزال تحاول أن تكون.

كل طفل بصنعاء، ظلّ لطفلٍ مكسور. تُسرق الطفولة حين يُحمّل الكتف الصغير ما لا طاقة له به: مسؤولية، خوف، خبر سيء، أو وداع قاسٍ.

تهمس الأرواح في طرقات المدينة، وتصغي الحجارة بانتباه، لا بد أن نجد بيننا من يدوّن، من يلتقط ذلك الهمس، ويعيد ترجمته كلماتٍ ونصوصًا، صورًا وشهادات، وموسيقى تخرج من قلب الصمت.

في "أوام الثقافية"، نحاول أن نكون ذلك الصدى الهادئ الذي لا يعلو، لكنه لا يغيب. نحاول أن نكتب لا عن صنعاء فقط، بل معها، فيها، كأننا نكمل جملتها الناقصة، أو نضع يدنا على قلبها لنطمئن أنه لا يزال ينبض.

هذا هو العدد الثاني من "أوام"، نرجو أن يجد فيه القارئ ما يحرّك شيئًا من ذاكرته، من دفئه، من أحلامه المؤجلة.
نأمل أن ترافقكم النصوص كما يرافق الضوء حجارة المدينة، وتفتح في قلوبكم نوافذَ للحياة، للحب، وربما، للشفاء...

بشـار العقـاب، رئيـس التحـريـر

- **الصورة التقاطة: زينب الحداد.**

لماذا صنعاء؟

عبده تاج، مدير التحرير

لصنعاء مكانة لا تخفى على أحد، سواء من الناحية الثقافية أو التاريخية. كُتبت عنها الكثير من القصائد والأشعار، قديماً وحديثاً. تُرى، هل كان ذلك بسبب طقسها؟ أم تاريخها؟ ما سر الجمال فيها؟ لطالما كانت للعواصم مكانة ثقافية خاصة لدى شعوبها، وصنعاء إحدى تلك العواصم العريقة التي يشهد لتراثها الرائع وأجوائها اللطيفة الجميع.

في هذه المرحلة العصيبة التي تمر بها صنعاء، كما هو حال بقية المدن اليمنية، لا يسعنا نحن أبناءها إلا أن نحاول جاهدين إعادتها إلى الواجهة من جديد. نناقش واقعها، مستقبلها، همومها، وجمالها أيضاً. ولنعد إلى السؤال الأول: ما سر جمال صنعاء؟ ولماذا هي مدينة مهمة؟ تمثل صنعاء هوية اليمن الأولى، سواء بأزيائها المبهجة أو تقاليدها العريقة. إنها واجهة اليمن المدهشة، الحاضنة للعديد من الشعراء والمفكرين الذين كتبوا عنها وعاشوا فيها. ولا يتسع هذا المقال لذكر أسمائهم أو استعراض تجاربهم.

كما لا يتسع لاستعراض ما تزخر به صنعاء من جماليات وتواريخ وأضواء. "صنعاء.. عاصمة الضوء!" هو عنوان ملفنا هذا، الذي نعمل عليه. ومن خلاله لا نحاول فقط تسليط الضوء على الجانب الجمالي في صنعاء، بل نسعى أيضاً إلى مناقشة قضاياها، همومها، وماهيتها، وتقديمها بصورة مختلفة للجمهور.

صنعاء، التي لم يمر بها شاعر إلا وسحره جمالها، ولم يكتب عنها مفكر إلا وارتاح في تاريخها، هي مدينة العشاق من جهة، ومدينة السياسيين من جهة أخرى، كما وصفها البردوني: "مليحة عاشقاها السل والجرب".

ورغم كل ما مرت وتمر به، تظل صنعاء هي الذاكرة القوية والتاريخية لليمنيين، تعبر عنهم في كل المحافل الدولية، برموزها، بتاريخها، بعراقتها، وبأشكالها المختلفة.

من أزيائها إلى القمريات، ومن الجنابي إلى الزخارف المعمارية التي تعبر عن الهوية اليمنية في كل زمان ومكان.

قد يعود هذا التميز إلى التراكمات السياسية والثقافية لهذه المدينة في ذاكرة العالم، ومكانتها في المخيلة الجماعية. ومع ذلك، لا يمكن إنكار أن هذه المدينة تستحق كل هذا الزهو، زهو اليمني بها، وزهو العاشقين بها. لقد برزت صنعاء في الأغاني كأجمل مدينة يطيب التغزّل بها، وظهرت في الفنون التشكيلية كمدينة مدهشة من كل زوايا اللون، ووردت في التراث كمدينة عريقة، مؤسسة في كل ما هو أصيل وجمالي. تراها حاضرة في الأدب، وفي الأغنية، وفي الدين، وفي الموشحات، وحتى في الأناشيد.

ومن خلال هذا الملف، نطمح أن نقدم صنعاء لأجيالنا القادمة، نحاول جاهدين أن نترك لها مساحة تعرفهم بها، لاسيما هذا الجيل الذي نشأ على صورة صنعاء المرهقة بالحرب. نريد أن نقول لهذا الجيل: إن صنعاء ليست مجرد حالة مؤقتة، بل مقام دائم، مقام الدهشة، مقام الشعر، ومقام المقالح. هي تلك التي ترتدي أحيانًا بزتها الجميلة وتحضر في كل المحافل، وهي التي يكسرها الحزن حينًا فتتوارى عن الأنظار. نحن، من خلال هذا الملف، ومن خلال أقلامنا الجميلة والعظيمة، نحاول أن نبحث أكثر في أعماق صنعاء. نحاول أن نقدم شيئاً جديداً عنها، ونؤكد للمرة الثانية أن هذا بالغ الأهمية، سواء لنا كيمنيين، أو كمهتمين بصنعاء واليمن بشكل عام.

هي مدينة تستحق أن يُفرد لها أكثر من كتاب، وأكثر من مجلة، وأكثر من عدد، وأكثر من مساحة.

يحق لصنعاء أن تُعبّر عن نفسها، أن تروي ماضيها وحاضرها ومستقبلها بطريقتها الخاصة. وبما أن أغلب كتاب المجلة ومحرريها من الشباب، سنسعى لاستكشاف رؤيتهم الخاصة لها، ونظرتهم المختلفة لحاضرها، وما ينتجون عنها من أعمال، لعلها تضيء درباً جديداً لهذه المدينة العريقة.

محاور رئيسة لبناء الدولة اليمنية الحديثة.
عبدالباري طاهر
رئيس نقابة الصحفيين اليمنيين السابق.

"نص حُرِّر بعناية من وثيقة لم الشمل وبناء الدولة اليمنية الحديثة"(1)

إعادة الإعمار والتعافي العاجل:

يتطلب إعادة الإعمار في اليمن حزمة متكاملة من العمليات، والخطوات، والإجراءات التي تعزز استقرار البلاد وتساهم في تحسين الظروف المعيشية، من خلال استعادة وتحسين البنية التحتية والمرافق العامة، والتخفيف التدريجي لآثار الأضرار المادية التي تعرض لها المجتمع أثناء النزاع وصولًا إلى القضاء عليها بشكل كلي. ومن بين أمور أخرى، تتضمن هذه العملية:

- إجراء تقييم شامل للأضرار في البنية التحتية والقطاعات الاقتصادية والاجتماعية، عن طريق آليات شفافة من قبل متخصصين وخبراء في هذا المجال.
- وضع وتطوير خطة وبرنامج شامل لإعادة الإعمار تشمل أولويات قصيرة ومتوسطة وطويلة الأجل، بناءً على نتائج تقييم الاحتياجات، والأولويات الملحة، والموارد المتاحة، ووضع خطط مرحلية لتنفيذ عمليات إعادة الإعمار المختلفة.
- تحديد الجهات، الدول المسؤولة عن إعادة الإعمار، ووضع الخطط لتوفير الموارد اللازمة لإعادة الإعمار، بما في ذلك البحث عن مصادر تمويل مختلفة لهذه العملية.
- البدء بعملية إعادة بناء البنية التحتية الأساسية وفق الأولويات الملحة للمجتمع؛ كإعادة بناء وتأهيل الطرق وشبكات المياه والكهرباء والمدارس والمستشفيات والقطاع الصحي، وغير ذلك، مع استخدام تقنيات البناء المستدام.
- استكمال العمل على إعادة الإعمار لمختلف القطاعات بناءً على الأولويات والتقييم الشامل الذي تم إعداده والخطة/البرنامج التنفيذي والخطط المرحلية المزمنة، وتوفير آليات رقابة فعالة، وتوعية المجتمع وإشراكه في التواصل مع المجتمع حول نتائج وتطورات عملية إعادة الإعمار.

العدالة الانتقالية:

العمل على معالجة إرث النزاع الحالي ودورات النزاع السابقة من الانتهاكات، من خلال الانخراط في عملية عدالة انتقالية حقيقية تفضي إلى انتقال سلمي ومدروس إلى حالة السلام العادل والمستدام، وإزالة أسباب الاحتقان المجتمعي والتشطين التي أفرزها النزاع الحالي ودورات النزاع السابقة. وتشمل هذه العملية معالجة الملفات الممتدة، كملفات الاختفاء القسري، والإقصاء السياسي، ومصادرة الحقوق، وغير ذلك. ويمكن أن تبدأ عملية العدالة الانتقالية بالتزامن مع عمليات إعادة الإعمار والتعافي العاجل أو قبلهما. ويجب أن تقوم عمليات العدالة الانتقالية في اليمن على عدد من المبادئ الأساسية:

- إشراك المجتمع اليمني بفئاته المختلفة إشراكًا حقيقيًا وفعالًا في تصميم برامج العدالة الانتقالية ووضع خططها المختلفة، وتوفير الآليات الملائمة لتحقيق هذا الإشراك.
- إعطاء الحق للأفراد، لا سيما الضحايا المباشرين للانتهاكات المختلفة التي ارتكبتها أطراف النزاع، بما في ذلك ضحايا القتل والتشويه، والاحتجاز التعسفي والاختفاء القسري، والتعذيب والقتل خارج إطار القانون، والإعدام بدون محاكمة، والتنقل القسري، والانتهاكات القائمة على النوع الاجتماعي، وغير ذلك من الانتهاكات التي ارتكبت أثناء النزاع.

وتتمثل هذه الحقوق في معرفة الحقيقة، وجبر الضرر، والمساءلة الجنائية، والمحاسبة، وضمان عدم التكرار، والاعتراف بما تعرضوا له من أذى. ويكون الضحايا في صدارة هذه العملية، ويُعطى صوتهم الأول فيها.

- عدم السماح بإفلات أيٍّ من مرتكبي الانتهاكات السابقة من العدالة الانتقالية أو إظهار تسامح في مواد أو أساليب من شأنها القفز على أعمال مثل هذه الانتهاكات تحت أي ذريعة.
- وضع الخطط والبرامج الملائمة لتنفيذ إجراءات إنصاف ضحايا الانتهاكات في كرامة الإنسان وذويهم، بما يشمل الاعتراف بما تعرضوا له من أذى بعد النزاع، وتوفير الجزاءات الرمزية التي تساعدهم على تجاوز معاناتهم.
- إجراء نقاشات مجتمعية حول الانتهاكات التي ارتكبت خلال النزاع، بما في ذلك عمليات الإقصاء، والاحتجاز، والانتهاكات السياسية، والاجتماعية، والثقافية، والاقتصادية، والتمييز، ومصادرة الحقوق، وطمس الهوية، والتعذيب، وغيرها من الانتهاكات، ووضع ضمانات قانونية، ومؤسسية، وقضائية، واجتماعية لعدم تكرارها، بما في ذلك إعادة بناء منظومة المؤسسات الأمنية والعدلية، على أسس تحترم الحقوق والحريات الأساسية للناس، وتعزز المساءلة، والرقابة المدنية، والمحاسبة.

هـوامـش:
1. الوثيقة نشرت في "حملات" التابعة لمنظمة مواطنة لحقوق الإنسان.

مساكن مدينة صنعاء القديمة اليوم: روح بلا أنسنة...

د.م. آلاء أحمد الأصبحي

لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ (15) سورة سبأ، القرآن الكريم.

في قلب أقدم مدن العالم وحضاراته تتشكل أزقةٌ شبهُ العروق؛ تسري وتنبض شوارعها الضيقةُ بخطوات سالكيها، وتحتضن مماشيها الضيقة، وحاراتها العتيقة الدافئةُ مساكنَ يملؤها الحبّ والحنين وقصص أجيالٍ وحضاراتٍ سكنتها. وبمقياسها الإنساني الفريد تطلّ بزخارفها ونقوشها؛ لتبوح بأسرارٍ لا تنتهي.

وبجانب هذا السحر الذي يخطف الأنفاس، يقف تحدٍ يدغدغ النفس كلما نظرتَ لهذا الجمال بألف سؤال: كيف لهذا الجمال أن يُحفظ؟ وكيف نفهمه ونعي فلسفته وجماله وفكره؟ كي لا نسيء إليه بأي تدخلٍ حديثٍ يلبي احتياجات عصرنا الحالي دون المساس بعلاقته أو تشويهه؟

لعلّ في أول الخطوات نحو هذا الأمل تتحقق بفهمه واستيعابه من خلال الاهتمام بتفاصيل هذه المساكن وأصالتها لمعرفة ثقافة وهوية المكان. فالبيت، والمنزل، والمسكن، والدار كلها أسماءٌ لكل منها دلالتها في المعنى وحدودها الوظيفية في اللفظ. فهي منازلٌ ينزل الناس فيها من أعلى لأسفل بسبب بنائها الرأسي الذي يتخذ صفة الأبراج؛ فلا يأخذ مساحةً من الأرض بقدر ما يأخذ من السماء، لتتراوح ارتفاعاته بين ثلاثةٍ إلى أربعةٍ إلى ثمانيةِ أدوار، وتوفر أسبابَ الإطلالة والحماية والسيطرة والتجدد في الهواء. يحاكي الجبال وحركته فيها صعوداً ونزولاً، ويحفظ وديانه ومساحات أراضيه الزراعية من الهدر؛ ليروي بقصائده العمودية نحو عنان السماء ذلك الامتداد والاتساع والتوالد للترابط الأسري لكل منزل.

ينزل من (الطيرمانة) أو (الزهرة)، تلك الغرفة الصغيرة الحجم التي تسكن قمّته وتغازل ذلك الكوكب المحبوب لدى اليمني (عثتر)؛ صديق الرعاة ومحبوب الزراعة وصديق الأمطار. ينسج فيها تأملاته وتسابيحه من أطراف الفضاء الذي يلفّ حجرته المليئة بالنوافذ الواسعة؛ يرى كل اللوحات النهارية والليلية، ويشهد فيها ميلاد الفجر وخفر الغروب في قصيدةٍ أبدية لا تنتهي أبياتها العمودية نحو عنان السماء.

تتحرّر بعض الطوابق بأجزاءٍ صغيرةٍ من المسطحات المفتوحة نحو السماء؛ وتسبق السقف (الجُباء) صعوداً، تسمّى (الشمسية)، تستخدم لنشر الثياب أو تجفيف الخضروات والفواكه كالعنب (الزبيب) والمشمش (القديد)، وأحياناً البنّ وقشوره، وتتوزّع فيها المشاقر والرياحين.

لينزل إلى غرفة (المنظر) ويجاوره المفرّج في التدرج؛ يمهّد له الهبوط من عليائه واتحاده بالكون إلى هذا الفراغ الأوسع، الذي يجمعه بأحبته من أهل بيته أو صاحبه في حيزٍ خاصٍ لا يتحمّل العدد الكبير من الناس؛ بل يضمّ في حميميته خاصّة الناس وبعددٍ محدود، تتجلّى فيه التوليفة الاجتماعية الإنسانية في تدرّج العلاقات من الخاصة نحو العامة.

لينزل نحو (الديوان)؛ يستقبل فيه العدد الأكبر من الناس بمساحاته الواسعة ونوافذه المطلة؛ للضيافة و(السمرة) والسهرة بين الشعر ومساجلاته، والغناء والقنبوس الذي ينتقل من حضنٍ لآخر؛ يسجّل بمعازفه وأنغامه فرحةً وسروراً، وبين نقاشاتٍ ومداولاتٍ عن حال الدنيا وأمورها.

بعدها ينزل إلى الجزء الخاص من المنزل، والذي قد يشغل عدّة طوابق ويسمى (المكان)، وهو بمثابة غرف النوم؛ يتخذ أشكالاً مستطيلةً، وتتوسط هذه الأمكنة حجرةٌ وسطية تسمّى (مكان الوسط)، بمثابة المعيشة التي تُمارَس فيها أغلب النشاطات العائلية داخل كل أسرةٍ ممتدة. وتغافلك غرفةٌ صغيرة الحجم، تقع بين الطوابق؛ تتميّز بالظلمة والهدوء، تسمّى (الكُمة)، تلبّي وظيفةً حيويةً جدّاً للمرأة ووليدها؛ من هدوءٍ ودفءٍ وعزلة عن (دوّشة) المنزل وسكانه طوال فترة الولادة؛ للمولود وتأقلمه مع الأصوات والضوضاء الطبيعية.

ثم ينزل لغرفة (العجمي)، تلك الغرفة ذات الوجهة الشمالية التي يخزن فيها أغراضه أو يستخدمها للنوم أحياناً بسبب نوافذها الضيقة وبرودتها عموماً في أوقات الحر. وتتحرّر بعض الطوابق بأجزاءٍ صغيرةٍ من المسطحات المفتوحة نحو السماء؛ وتسبق السقف (الجُباء) صعوداً، تسمّى (الشمسية)، تستخدم لنشر الثياب أو تجفيف الخضروات والفواكه كالعنب (الزبيب) والمشمش (القديد)، وأحياناً البنّ وقشوره، وتتوزّع فيها المشاقر والرياحين.

وينزل للحمام الذي يكون على جزأين من (المطهار)، ويكون للاغتسال والمرحاض؛ ويسمّى (المستراح)، ويلحق به في العادة بئر المرحاض المسمّى (المنطل) لتصريف العوادم نحو حفرة (النقرة) في الطابق الأرضي.

ثم ينزل إلى طابق الـ(ديمة)، وهو المطبخ الذي يمتاز بكتلة نافرةٍ عن المبنى؛ لتأمين تصريف الدخان ونزع الماء من البئر. يحتوي على (تناوير) اثنين أو ثلاثة للطهي والتسخين، تُسمّى (الجنبة)، ومساحاتٍ للعجن.

ثم ينزل إلى (الطبقة) أو (طبيق)، تكون عادةً في الطابق المسروق لخزن الحبوب والدقيق؛ تتميّز بأنها مبنية على شكل أحواض مغلقةٍ بفتحاتٍ علوية وسفلية لكل جزءٍ خاصٍّ بخزن نوعٍ معيّن من الحبوب، وتُسمّى (أحقاب). جدرانها من مادةِ القضاة لعزلها عن الرطوبة والحرارة؛ فتحفظ الحبوب لمدةٍ طويلة تزيد عن العام.

ينزل للطابق الأرضي حيث يقع (الدهليز)، ذلك الفراغ المعماري الذي يفصل بين الباب الخشبي المزخرف بالترنجة؛ تلك الزخرفة التي لا تأتي على أكثر من عشرة أنماط فنية زخرفية تشبه فاكهة الترنج الذهبية اللون بين الأصفر والبرتقالي، لتذكرنا بما كتبه الإخباريون عن ترنجاتٍ صنعت من الذهب الخالص في عهود اليمن السحيقة بمقابضها الفضية التي تحوّلت اليوم إلى مدقّ من الحديد. تعلو الباب المزدحم بالزخارف الهندسية والنباتية كوى لفتحاتٍ صغيرةٍ مثلثة الرؤوس؛ لتسمح للضوء بنفاذه وإضاءته دون الكشف عن داخله.

وبين صالةٍ تتوزّع حولها فراغاتٌ خدمية كمأوى الحيوانات الداجنة ومخزنٍ للغلال ومربطٍ للدواب والمسمّى بالـ(حَر)، وبين حظيرةٍ (الكرس) لتسمين الماشية والأضاحي أو خراف الضيافة وبئر الماء.

ولو أطلقنا عليها بيوتاً فهي تشكّل مبيتاً دائماً؛ سواء للدواب والحيوانات في طابقها الأرضي أو للسكان في الطوابق العليا،

أو في المباني الملحقة بالدور الكبيرة منها. وهي دار من أصلٍ واحدٍ؛ يحدق المسكن فيها بالآخر من حوله، فتصبح دوراً، ولما يلحق بها من الحدائق والآبار والسماسر للحرس والمخازن وبيوت الضيوف والآبار.

وهي مساكنٌ يحصل الإنسان فيها على أَمْنه وأمانه واستقراره وسكونه وسكينته وهدوء قلبه وراحة نفسه، بكل ما يقدمه المسكن من خدماتٍ إنسانية رسمت ملامح حياته وبساطته ودفء مسلكه؛ فهو بناءٌ معماريٌّ مسكونٌ بتقاسيمه بروحٍ إنسانية بنّاءة. ومن فهم الاسم ودلالة معناه ننطلق وعيًا لأسباب تشكّلاته شكلًا وحجمًا؛ لنعي التنوع الطبقي لسكانها بين الكبير والصغير والمتوسط.

كل هذه المساكن اليوم بقيت أجسادًا أشبه بالجثث؛ غادرتها أرواح ساكنيها، ولم تسلم أجسادها من الانتهاك والعبث. هذه المساكن اليوم تمثل تحديًا بما بقي من أبوابها ونوافذها المزخرفة وواجهتها وأوشامها الجصية التي تنبض بالجمال والأصالة. ترى كيف يمكن فهمها واستيعاب فلسفة جمالياتها والخدمات الوظيفية التي قدمتها في تلك الأزمنة؟ وكيف لها اليوم أن تقدم نفس الدور وتطوّره، ليستمر الشكل معبّرًا عن الفكرة والمعنى والوظيفة كما كان؟ وما هو حجم التدخل المطلوب ومدى جراحة وحساسية إضافته وسط وعي متدنٍّ وفكرٍ يتقلب بين السطح والهدام؟

إنّ إدخال الحداثة والتكنولوجيا اليوم لهذه المساكن يُعد مطلبًا عصريًّا لا بدّ منه، لكن يجب أن يتمّ بحذرٍ شديدٍ ودقّةٍ؛ بحيث لا يؤثر على المعنى والمظهر. ترى كيف سيتم إدخال المواسير داخل الجدران؟ أو إخفاء التوصيلات الكهربائية والأطباق غير الطائرة والألواح الشمسية؟ كيف سنحلّ رائحة الحيوانات والروث في الطوابق الأرضية لتظهر بمظهر نظيف حضاري دون إيذاء الداخلين إليها؟ كيف سنلزم البنّائين باحترام النسب الزخرفية، التي تحمل تراثًا رمزيًّا عميق المعنى والأثر؟ كيف سنمنع السيارات والمركبات بعوادمها المشوّهة وضوضائها من الدخول إلى المدينة القديمة واقتصار التجوال فيها على المشي أو ركوب العربات؟ كيف نضع القمامة ضمن سلالٍ تضمن تدوير المهملات، خاصة الطبيعية، لصالح علف الحيوانات، وتسميد المقاشم والبساتين؟ كيف نمنع الحمامات البخارية من تصدير العوادم الكيميائية من الصوابين والشامبوهات والاقتصاد على المواد الطبيعية؟ كيف نلتزم بالمواد والخامات الطبيعية من حجر وطوب وقضاض وأخشاب؛ لنحافظ على امتصاص تلك الموجات الكهرومغناطيسية التي عصفت بأدمغتنا؟

كيف نستعيد تلك الأبواب الخشبية والمشربيات والمشرفيات التي صنعها حرفيو نجارة المدينة؛ بتحقيق استدامة استخدامها؟ كيف نملأ وسائدنا بـ(رِي) لتعود خفيفة وطبيعية، خاليةً من أي كهرباءٍ استاتيكيةٍ أو مُصنعة تملأ رئاتنا بسمومها؟ كيف نعيد لتلك المساكن أرواح ساكنيها وإنسانها؟ كيف سنقنع الإنسان بتفاعله معها كمتحف حيّ تنتظم فيه فعاليات ثقافية وتوعوية وسياحية كشرطٍ لبقائه فيها؟

لعلنا لو حافظنا على الثقافة والتقاليد المرتبطة بها؛ لعزّزنا فنونها التقليدية وحرفها المحلية كما كانت من قبل. لماذا لا تتخصّص بعض تلك المساكن بتقديم خدماتٍ بطرازٍ ونكهةٍ تراثية دائمة؟ فصنعاء وما حولها يشتاق المرء فيها أن يعيش ذلك الدفء بين جدرانها، ويمارس طقوسها. لماذا لا تكون هناك مساكن لمراسيم الولادة؛ يستضيف فيها السكان مراسيم الولادة أو عزائم الغداء أو السمرات الشعرية أو الموسيقية أو المساجلات الأدبية والثقافية؟ يأكل من ديمتها ويتعطر بمشاقرها وزهراتها، أو يشرب من عصير زبيبها وقشرها وبنّها، ويأكل من حلاوتها وقديدها، أو يستحمّ في حماماتها البخارية ويُزفّ بثيابه التقليدية على أحصنتها وداخل هواجدها؛ ويلبس قمصانها، ويتزيّن بعقيقها، يشرب من مدل ماءها المبخر.

لعلنا لو عزّزنا قيمة المدينة بتقنيات التفاعل المعلوماتي؛ لتوفير معلومات تفصيلية عن المساكن والمباني في المدينة وتاريخها وساكنيها؛ لانطلق وعيهم في المحافظة عليها ورعايتها وحمايتها، فيدخل الزائر والساكن إليها واعيًا مدركًا حرمة هذا الجمال وقيمته، ولعاد لإنسانيته الكثير مما افتقده من قيمة أن يصنع ويبني ويفكر بعقله ويديه وينتج. لعل هذه المدينة لو لَقِيَت اهتمامًا وتشريعاتٍ خاصة بفرادتها وخصوصيتها الإنسانية؛ لصارت محميةً حقيقيةً للتراث الإنساني الحي؛ يتعلم الساكن فيها والزائر لها الكثير من معاني إنسانيته.

مساكنٌ حية نابضة بمعنى التراث ومناهجه البناءة؛ مسكونةٌ بإنسانٍ واعٍ لحجم مهمته الحضارية تجاهها، ويُعامل معامله خاصةً بإعفائه من التزامات وضرائب ورسوم، بل يعزّز بخدماتٍ مجانيةٍ مقابل الحفاظ عليها والاستمتاع بالسكن فيها. يجد الإنسان فيها ملامحه الحقيقية الإنسانية بعيدًا عن زيف وانتهاك الحضارة المستوردة بزيفها، لتعود تلك المساكن آيةً تخدم ساكنيها وإنسانها كما وصفها الله في محكم كتابه:

"لقد كان لسبأٍ في مسكنهم آيةٌ." صدق الله العظيم.

- **الصورة بعدسة: إيمان المزيجي.**

على صوت اللحن الصنعاني... صنعاء ضحية لملاحتها.

أحمد عثمان
كاتب، وقاص.

لابد من صنعاء وإن طال السفر، وإن تحنّى كل عودٍ وانعقر.

هذه الأغنية التي تغنى بها الطلاب والعلماء والشعراء والتجار، وهم يطمحون بالوصول إلى صنعاء، أقدم مدن الزمان وأجملها.

صنعاء مكان متميز وفريد، يكاد ينطق بالحنان والألفة، ولهذا يعشقها ساكنوها، وتعشق هي أيضًا من تحتضنهم، كما تعشق هبوب النسيم، وضحكات البرق، وحنين الرعد، ودموع السحابة.

العلاقة بين الإنسان، والمدينة، والقرية، وما بينهما من مخلوقات، علاقة حيّة، يفهمها من يعشق الأوطان، ويحس بالحارة، والقرية، والبيت، والملعب، والمعلامة، ويرى كيف يبكي على تلك الأمكنة، وكيف تبكي الأمكنة عليه، وكيف تضحك، ويضحك معها، ويأنس بها.

المكان، والإنسان، والطقس، يمثلون ثلاثي العشق والجمال.

والعلاقة مع المكان لها أسرار وتقلبات، وتختلف من مكان إلى آخر، فالمكان يشبه الإنسان وقريب منه، يتأثر به ويؤثر فيه.

هناك أمكنة تُنتج الكآبة والضيق، لا تحس أن المكان يطيقك، يكشّر عن أنيابه ويطردك بدون وداع، وهي ما تُسمّى "الأمكنة الطاردة".

وعلى العكس، هناك "الأمكنة الجاذبة". صنعاء مكان جاذب ووجه صبوح، تفتح ذراعيها للإنسان، وتتفنن في الدلال والعشق، لتنتج لك شعرًا وفنًا وعمارةً وإنسانًا جميلًا عاشقًا للحياة. حتى الرياح التي تهب صيفًا، تفرد جناحيها وتضفي سكينةً وسكونًا. والطقس في صنعاء مريحٌ ولطيف صيفًا وشتاءً، وهو أحد مظاهر الجمال ودوافع العشق المتجدد.

ويبقى الإنسان تاج هذا الجمال، وحجر الزاوية في العشق المتبادل بين المكان والإنسان.

وتأخذ المرأة النصيب الأكبر من السكينة والجمال، فهي تحتل مساحة كبيرة من الجمال الصنعاني، في المعنى والمبنى

وتبقى اللهجة الصنعانية إبداعًا أنثويًّا بامتياز، إذ تتحول على لسان المرأة إلى ما يشبه المزن الهاطل من السحابة، أو صوت انسياب الماء من العيون والأنهار الجارية الساحية في الوديان.

المرأة في المجتمعات تتجاوز الحسي إلى معانٍ أبعد، تعبّر عن ذوق الإنسان وجمال المكان.

ولهذا، كان الشعراء وهم يعبّرون عن المجتمعات والأحداث والأمكنة، ينطلقون من زاوية المرأة، حيث يأخذ الشعر والأدب انطلاقته منها إلى بقية نواحي الحياة، كما هي عنوان الجمال والحياة المبتهجة.

ومعروفٌ عند اليمنيين أن المرأة الصنعانية هي زوجة وأم، تجمع بين الحب والحنان والحرص والعطاء.

> **المرأة في المجتمعات تتجاوز الحسي إلى معانٍ أبعد، تعبّر عن ذوق الإنسان وجمال المكان.**

وقد تحدث الشاعر الحميني القادم من تعز قبل مئات السنين عن هذا المعنى، بحسب الروايات الشفوية عن تراث الشاعر أحمد محمد برداد، عندما قدم إلى صنعاء مع حاكم تعز، وزار صنعاء وساحاتها، وغاص فيها ليكتب بشاعريته قصيدة جميلة، مطلعها:

بدوركم يا أهل صنعاء بدور

لها باحشائي منازل

ما كنت أعلم أن في الأرض حور

حتى بدت منكم دلائل

واختتمها بأبيات تُعتبر من عيون الحكمة، بعد أن أدهشته صنعاء أرضًا وإنسانًا، طقسًا وعُمرانًا، ورأى فيها نموذجًا للنعيم والملك، في بيئة عذبة تعطي للنعيم معنى من السعادة والوجود. لكن، كما هي عادة الشعراء، فلهم عينٌ أخرى؛ فكل نعيم عندهم آفل، وكل جمال يخفي نقيضه، ليختم قصيدته الرائعة موجهًا كلامه لأهل هذه المدينة الباذخة بالنعيم، حيث يقول في نهاية قصيدته:

مجنون من يأمن صروف الزمان

مواهب الدنيا عواري

كم ألبست قبلك ثياب الأمان

فأصبحوا منها عواري

لا يوجد توثيق مكتوب لميراث هذا الشاعر الحكيم، بل هو ميراث متداول شفويًا عبر الأجيال للأسف، والبعض ينسب القصيدة لمجهول، مع أن المتواتر أنها للشاعر الحميني البردادي.

> **وقال عنها الأديب العربي أمين الريحاني: "أيّ صنعاء! مثّلتِ لنا العالم، فكنتِ مليكة الزمان. مثّلتكِ لنا الأساطير، فكنتِ سيدة الإنس والجان. ومثّلك لنا العلم، فكنتِ يومًا ربّة العرفان."**

يبقى عدم التوثيق عيبًا يمنيًا، حيث يكون التوثيق آخر الاهتمامات الفردية، والجماعية الشعبية، والرسمية – للأسف.

البردادي هذا نموذج لزائر صنعاء، والانبهار الذي يُلصق بكل داخل إلى مدينة سام وآزال، الضاربة في أعماق التاريخ.

أما شاعر اليمن الكبير عبد العزيز المقالح، فقد تغنّى بصنعاء وجمالها كثيرًا، ووصفها بقوله:

"كانت امرأة هبطت في ثياب الندى ثم صارت مدينة."

وقال عنها أبو الحسن الهمداني (893م - 956م):

"ليس يُلحَق بحسناء صنعاء امرأةٌ من العالم، ولا يُلحَق لشرعتهنّ وظرفهنّ امرأة، وفيهن غيرة، ولهن شكل ودلال ومَلَق."

وقال عنها الأديب العربي أمين الريحاني: "أيّ صنعاء! مثّلتِ لنا العالم، فكنتِ مليكة الزمان. مثّلتكِ لنا الأساطير، فكنتِ سيدة الإنس والجان. ومثّلك لنا العلم، فكنتِ يومًا ربّة العرفان."

جمال صنعاء يتمثل في الزمن الموغل في القِدم، والآثار، والفنون المتنوعة، والمخطوطات النادرة.

فصنعاء من أقدم مدن العالم، بحسب منظمة اليونسكو، منذ القرن الخامس قبل الميلاد،

> البعد الزمني والتاريخي يزيد صنعاء جمالًا وبهاءً وأصالة، ويضفي عليها قيمة، كلما مضى بها الزمن.

ويرى بعض المؤرخين أنها بُنيت بعد الطوفان على يد سام بن نوح، وسُمّيت باسمه، ومن أسمائها أيضًا آزال، أحد ملوك سبأ وحفيد سام.

البعد الزمني والتاريخي يزيد صنعاء جمالًا وبهاءً وأصالة، ويضفي عليها قيمةً كلما مضى بها الزمن، تمامًا مثل الجنبية الصنعانية التي يقتنيها الصنعاني أساسًا للزينة والأصالة، وللحفاظ على القيمة الزمنية، لا للحرب. فهي تمثل أصالة الأجداد، وذكرياتٍ حاضرة كتراثٍ أُسريٍّ متوارث، وكلما مضى عليها الزمن، ازدادت أصالةً وقيمة، وكأنها تُشبه هنا صنعاء التاريخ.

ولا تفسير لأسعار الجنبية الخرافية إلا هذا المعنى التراثي المرتبط بالقِدَم وأنفاس الأجداد.

ولنقترب من أنواع التراث العام المتعدد والأصيل في صنعاء، نبدأ من أبواب صنعاء الأربعة، التي كانت تزيّن السور الذي كان يلف خاصرة المدينة القديمة ويحميها.

أربعة أبواب – وبعضهم يرى أنها أكثر – من أبرزها:

باب اليمن، باب شعوب، باب الشقاديف. ولم يبقَ منها اليوم كاملًا سوى باب اليمن، وهذه خسارة حضارية ووطنية كبيرة لم يُلتفت لها، ولم تأخذ حقها لا رسميًا ولا شعبيًا.

لا أدري، هل بقيت آثار لتلك الأبواب لكي تُعاد ترميمها؟ أو هل تعرف الجهات المعنية مواقع تلك الأبواب، لكي تُعاد ولو رمزيًا أو إرشاديًا؟

> **أعتقد أن إغلاق باب الاجتهاد أوقف العقل الفقهي.**

ذلك لأن مواقع أبواب المدن القديمة كانت تُقام بهندسة دقيقة، مرتبطة بالتحصين والجانب العسكري، والجانب الاقتصادي، والأسواق، وحركة الناس، وعلاقتها بالعالم الخارجي، بل وحتى علاقتها بالمواقع العلمية والعبادية مثل المساجد، والأربطة، والحدائق، والبساتين، وقصور الحكام.

تأخذ المساجد في صنعاء أهمية كبيرة، وهي ثرية وكثيرة، وتتجاوز المائة مسجد.

وأبرز هذه المساجد الجامع الكبير الذي شُيّد في السنة السادسة للهجرة، بحسب المؤرخين، الذين اختلفوا فيمن وضع حجر الأساس له: هل هو الصحابي معاذ بن جبل، أم الصحابي وبر بن يُحنّس الأنصاري، أم الصحابي فروة بن مسيك المرادي؟

والجامع الكبير ليس مسجدًا للعبادة وحسب، بل هو مؤسسة روحية وعلمية، وفيه أربطة للعلم والتدريس، ومكتبة للمخطوطات النفيسة.

ومن صنعاء تخرّج علماء وأدباء ومجتهدون عبر التاريخ، منهم أئمة مجتهدون مثل الإمام الشوكاني، ومن قبله ابن الوزير، وابن الأمير، والمُقَبلي. واستمرت صنعاء تُخرّج علماء عُرفوا بالاجتهاد والوسطية والاستقلالية، كان آخرهم الفقيه الكبير والعلامة الحاذق والظريف المجتهد محمد بن إسماعيل العمراني، حيث كان أغلبهم يُكسب ما يشبه الإجماع بين اليمنيين، ويتخطى أثرهم إلى خارج اليمن.

وهذه المساجد التي تُعد مؤسسات علمية وروحية، لكل منها تاريخ ودور، وأبنية بأسلوب عمراني فريد، يجعل الحفاظ عليها واجبًا وطنيًا وعلميًا، والحفاظ على دورها العلمي الواسع الذي كان منارًا لليمن والعالم الإسلامي، بنهج معتدل يُدرّس في جامعات وأربطة العالم الإسلامي. ومنهج الشوكاني الذي اعتبره الكثير مذهبًا جامعًا من مذاهب المسلمين، يُعد نموذجًا يؤمن بالاجتهاد كمنطلق للتجديد والتنوير ومواجهة التحديات الحياتية والفكرية والفقهية التي تتجدد بتجدد الحياة.

هذا الاجتهاد لم نعد نلمسه، ولا نراه. غاب عن العالم الإسلامي أو غُيّب، وهو قرار غير معلن – أقصد إغلاق باب الاجتهاد – ولا يعلم أحد من اتخذه، وأعتقد أن إغلاق باب الاجتهاد أوقف العقل الفقهي، وجعله يستجِرُّ الإخفاقات الماضية والصراعات ذات الأبعاد السياسية، التي كبّلت مسيرة الفقه والفكر الإسلامي للأسف، وأبعدته عن منطلقات الاجتهاد ورحابته، الكفيلة بمواجهة كل الأسئلة والمستجدات لكل عصر ومكان، بحسب مقاصد الشريعة، وحوافز الفكر الإسلامي بخصائصه العالمية، التي تتعامل مع حاجات الأمكنة والإنسان، وتحديات الأزمنة بفكر مستنير وفقه متجدد لأبعاده الحضارية.

لقد كانت صنعاء إحدى المراكز الثرية للعلم والفقه والاجتهاد. وفي صنعاء يوجد لون خاص لتلاوة القرآن، مميز ومحبّب للنفس، يعرف بالمقام الصنعاني. هذا المقام شجي ومختلف، ويُبرز المعاني القرآنية بشكل سلس ومؤثر. ومن أبرز نجوم هذا المقام القارئ القريطي، ومحمد حسين عامر، كما ظهرت أصوات حديثة محتفظة بجماليات هذا المقام وبدأت تنتشر عبر وسائل التواصل الاجتماعي في العالم الإسلامي، من أبرزهم القارئ الشاب محمد الفقيه الذي يتميز بهذا المقام بصورة جذابة وسلسة.

يذكر المؤرخ الهمداني أن اسم سوق الملح بضم الميم وفتح اللام (المُلَح) ويعني الملاحة، وأن كل شيء فيه مليح وجميل، اتساقًا مع الملاحة والجمال الذي يغمر وجه وتفاصيل صنعاء.

ولم تكن المساجد والمدارس الملحقة بها، بعمرانها وزخارفها، الوحيدة في التراث الصنعاني العمراني والعلمي، فهناك آثار متناثرة في صنعاء الحضارة، من أسوار وقلاع وآثار لأسواق ومحلات ذات ملامح صناعية، مثل الحدادة، ومصانع الألبسة، والزخارف، والمعادن الفضية والذهبية، ومحلات للحرف المتنوعة في أسواق متعددة، مثل سوق الفضة حيث يُصنع المرجان والعقيق اليماني واللؤلؤ، وسوق النحاس، وسوق الجنابي، وسوق الملح. ويذكر المؤرخ الهمداني أن اسم سوق الملح بضم الميم وفتح اللام (المُلَح) ويعني الملاحة، وأن كل شيء فيه مليح وجميل، اتساقًا مع الملاحة والجمال الذي يغمر وجه وتفاصيل صنعاء. وكانت تنتشر فيها ما يسمى بـ "السماسر" كنظام تجاري لخدمة التجار وتسهيل عمليات البيع والشراء، وهي من مكونات الحياة الاقتصادية والاجتماعية لصنعاء. كل هذه التفاصيل التاريخية ثمينة، ومن الخطأ التفريط بها. بل يجب الحفاظ عليها، والتنقيب عن المندثر منها عبر الكتب التاريخية، وعبر علم الآثار، والاهتمام بجمعها وتوثيقها.

ومدينة صنعاء القديمة بحد ذاتها كنز أثري، بمبانيها العمرانية، ومناظرها المزخرفة، وأزقتها وشوارعها. وتُعد المدينة من المدن المُدرجة في قائمة التراث العالمي، باعتبارها مركزًا تاريخيًا وفنيًا ينافس أعرق المدن التاريخية في العالم، بل وتفوقها قدمًا، لكن حظها أقل من حظ تلك المدن الأخرى من حيث العناية والاهتمام.

> **الآثار الشفوية تمثل صورة فنية من تراث صنعاء، ويُعد الحفاظ عليها أمرًا ذا أهمية كبرى.**

والملاحظ أن مباني صنعاء منسقة ومتقاربة، ما يوحي بعلاقة الإنسان وحميميته كأنهم أسرة واحدة.

وإضافة إلى التراث العمراني والحضاري والكتب والمخطوطات، هناك تراث شعبي متوارث يتسق مع تاريخ صنعاء وجمالها، ويقدّم صورة واضحة لجمال الإنسان وثقافته وعاداته المتوارثة. من ذلك الأهازيج الصنعانية الخاصة بالمواسم الدينية والأعياد مثل رمضان، وعيد الفطر، والأضحى، وتلك الخاصة بقدوم موسم الحجاج واستقبالهم، ومن تفاصيل هذا التراث الجميل "الدّرهة"، وهي لعبة كانت حية حتى وقت قريب، وما ندري ما الذي حصل لها اليوم.

و"الدّرهة" هي لعبة تُربط على شجرة، يركب عليها الصغار والكبار، في حركة تشبه حركة "الهندول" عندما تقوم الأم بتنويم طفلها. وهي صورة عاطفية ترتبط بالوداع والاستقبال للحجاج، يصاحبها نشيد شعبي، يوضح قيمة المشاعر الأسرية الحميمية، كما يُظهر قيمة الشعائر الدينية، خاصة شعيرة الحج، التي كانت تُمارس بروح شجنية وطقوس جميلة في شهور الحج.

ومثل هذه الآثار الشفوية تمثل صورة فنية من تراث صنعاء، ويُعد الحفاظ عليها أمرًا ذا أهمية كبرى، مثلها مثل الفنون المختلفة، ومن أبرزها فن الأغنية الصنعانية، التي تتربع على مقدمة الفنون اليمنية والعربية من حيث الكلمة واللحن والطابع الأصيل.

ومن أبرز شعراء هذا المقام أحمد قعطبي، وإبراهيم الماس، وقاسم الأخفش، وعلي الآنسي، وحمود الحارثي. وغنّى بهذا اللون كثير من فناني اليمن، أبرزهم أيوب طارش، ومحمد سعيد عبد الله. وما زال الغناء الصنعاني يتجدّد ويتدفّق عبر أصوات وألحان صنعانية أصيلة، لتبقى الألحان التراثية الصنعانية هي الملكة والمتربعة في مملكة الغناء اليمني والخليجي، ومن أشهر من غنى بها حديثًا خارج اليمن الفنان محمد عبده، وأبو بكر بالفقيه.

تتعرض المدن التراثية في اليمن إلى مخاطر حقيقية قد تصل إلى طمسها مع الزمن، وقد تعرضت صنعاء القديمة لمثل هذه المخاطر وما زالت تتعرض لها. وبحسب دراسات صحفية، فقد قُصفت بعض المنازل والآثار بالطائرات في سنوات الحرب 2015 و2016م تقريبًا، كما يُعاد بناء بعض المباني بطريقة بعيدة عن النمط القديم، مما يؤدي إلى التشويه والطمس، خاصة في ظل غياب الجهات المسؤولة وترك الأمر بدون حماية أو تنظيم.

وبحسب ذات المصادر، فإن بعض المواقع تتعرض لحفريات كبيرة لأسباب شتى، بعضها بدافع البحث عن كنوز، وهو دافع لاحظ الباحثون أنه تكرر في أغلب الحصون والقلاع والمواقع التاريخية المنتشرة في اليمن. وتنتشر شائعات عن وجود كنوز في هذه المواقع، وقد تكون هذه الشائعات مدروسة ومتعمدة لاستهدافها وتخريبها، أو قد تكون نتيجة أطماع فردية، وفي الحالتين فإنها تمثل خطرًا كبيرًا يستدعي الحماية القانونية والمجتمعية.

من الواجب الوطني الحفاظ على كل الفنون المختلفة والآثار الثمينة، وتقديمها عبر برنامج علمي وثقافي يقدّر قيمة صنعاء كمدينة للتراث والتاريخ، ويقدّم كنوز وثروات اليمن التاريخية والعلمية والفنية. فصنعاء واليمن عمومًا تحمل من الكنوز الحضارية ما يجعلها قادرة على أن تتحول إلى واحدة من أهم الموارد الاقتصادية والثروات القومية،

> **هل يمكن تحييد الجمال والفنون التاريخية للحفظ والحماية من الأخطار؟**

مثلما فعلت دول كثيرة حولت التاريخ والفن إلى مصدر دخل قومي، رغم أنها لا تملك عُشر ما تملكه اليمن من تراث ومدن تاريخية وجزر فريدة.

لكن المؤسف أن اليمن أصيبت بالحظ "المنحوس"، وما زالت تتلمّس طريقها للوصول إلى مخرج يجعلها تبرز كنوزها وتستفيد من ثرواتها.

هل يمكن تحييد الجمال والفنون التاريخية للحفظ والحماية من الأخطار؟ التراث هو جمال تاريخي يقدّم البلاد للأجيال والعالم. والاهتمام به يعكس قوة الدولة وثقافة المجتمع، ويمثل ثروة قومية قادرة على تغيير وجه الحاضر وبؤس اللحظة. وتضيف المدن التاريخية مثل صنعاء القديمة، وجبلة، وزبيد، وشبام، وغيرها، إضافة إلى الجزر البحرية، بعدًا حضاريًا وثروة وطنية يمكن تحويلها إلى مواقع جذب وسياحة، وتُستثمر بشكل اقتصادي يعيد لليمن مكانتها المستحقة بين دول العالم.

وهي تستحق وضع برامج وخطط وقوانين تحميها من آثار الصراعات والتقلبات السياسية لتحافظ على وجهها وكنوزها من التعرض للخراب. وهذا لا يتم إلا عبر تحييد هذه المواقع عن الصراعات والاهتزازات التي تحدثها تقلبات السياسة وصراعات الحكم، حيث تتحول إلى مواقع آمنة تمثل اليمن تاريخيًا وحاضرًا ومستقبلًا، وتبقى نموذجًا للتعايش.

> **الاستقرار السياسي هو شرط أساسي للتطور العام.**

وهي بالتأكيد أمنية، لكن كل الأماني والمشاريع الحضارية الكبرى ليست مستحيلة، فهي تبدأ أفكارًا خيالية وتتحول إلى واقع حين تنتقل من كونها فكرة حالمة إلى مشروع نخبوي، ثم مشروع وطني، ثم ثقافة شعبية ومجتمعية تتبلور عبر التجارب والحاجات الملحة. ومثل هذا التحييد لن يكون ممكنًا إلا في حالة من التقدم والنضج السياسي والثقافي، بل إن تنفيذ هذا البرنامج سيُسهم بحد ذاته في إنضاج التطور السياسي وتعزيز ثقافة التعايش، من خلال قوانين ودساتير ثقافية تتجاوز مسببات التخلف والصراعات.

فالاستقرار السياسي هو شرط أساسي للتطور العام، وللاستفادة من الكنوز التاريخية والثروات المادية والبشرية، ولتطور الفنون والعلوم كذلك. وليس خيالًا أن نرى اليمن في مقدمة الدول المتقدمة، فهي مؤهلة بذلك من حيث ثرواتها البشرية، وفنونها، وتاريخها، وثقافتها، لكنها حتى اليوم ما تزال تبحث عن "تعويذة" تخلّصها من حظها "النحس" الذي يلازمها.

صنعاء، شأنها شأن كل جمال وقيمة، قد تتحوّل في أوقات كثيرة إلى ضحية لجمالها وتميزها. فالجمال لطالما أغرى الطامعين والغزاة وقطاع الطرق، أولئك الذين لا يرون فيه سوى مطمع، دون أن يدركوا قيمته أو يتذوقوا معانيه. ولذا تحوّل في أحيان كثيرة إلى ما يشبه الجوهرة بيد فحّام، كما يُقال، وهذا ما ينطبق تمامًا على صنعاء وعموم اليمن، ذلك البلد الذي حبا الله بالموقع الفريد، والطقس الجميل، والتنوع، والثروات، والجزر، والمدن التاريخية.

وعبر التاريخ، تعرضت صنعاء مرارًا وتكرارًا لهذا النوع من "العشق القاتل"، ودفعت ثمن جمالها وتاريخها وموقعها، لكنها دائمًا كانت تنهض وتتعافى، كما هو حال اليمن الذي ينهض بعد كل سقطة رغم اللعنة الجغرافية التي تُطارد أحلامه.

وقد أشار الشاعر الكبير عبد الله البردوني إلى هذه المعضلة التي تعاني منها صنعاء واليمن، حين كتب قصيدته الشهيرة التي تصف صنعاء كأنها امرأة جميلة منهكة من عشق مدمر، في صورة شعرية تتقاطع فيها الجغرافيا بالتاريخ بالحلم بالخذلان:

ماذا أحدثُ عن صنعاء يا أبتي؟

مليحةٌ عاشقاها: السلُّ والجربُ

ماتت بصندوق "وضاحٍ" بلا ثمنٍ

ولم يمت في حشاها العشقُ والطربُ

كانت تراقبُ صبحَ البعث فانبعثت

في الحلم، ثم ارتمتْ تغفو وتنتحبُ

لكنها رغم بخلِ الغيث ما برحت

حبلى، وفي بطنها "قحطانُ" أو "كربُ"

وفي أسى مقلتيها يغتلي "يمنٌ"

ثانٍ كحلمِ الصبا... يَنأى ويقتربُ

في هذه القصيدة يرسم البردوني تقريرًا شعريًا عميقًا عن صنعاء، ويستدعي حكاية وضّاح اليمن الذي أحبّ امرأة من طبقة مختلفة وانتهى قتيلًا. وكأن صنعاء هي الأخرى قد ماتت في صندوق، لكنها لم تمت في قلبها الموسيقى والعشق. وهذا بالضبط حال اليمن، التي تُحب رغم الألم، وتحلم رغم الجراح، وتبقى حبلى بالأمل.

- **الصورة بعدسة: إيمان المزيجي.**

جدتي الصنعانية... نوستالجيا المدينة التاريخية وشدة الحنين.

طه العزعزي
المحرر المسؤول لدى المجلة.

تحدثت إلى صديق يمني من جيلي هو الآن خارج الوطن، تحديدًا في هولندا، وكان ذلك على نافذة واتساب. دار حديثنا - أنا وصديقي - حينها حول أهمية ارتباط الشاعر والأديب بالمكان، وأن هذه حالة شعرية هي من الوجدان ولا يمكن أن يسلم منها أي أديب في العالم مهما كان متجردًا من الأطر والانتماءات، ولم يكن الحديث حينها رسميًا إلى درجة أن ننتقل للنقاش في المكان إلى الجانب السياحي، لكننا فعلنا ذلك، وانتقلنا إلى الجانب السياحي وخلصنا إلى أن ثمة أماكن وظيفتها بالنسبة للعنصر البشري المثقف أشبه بفسحة حوارية غالبًا ما يكون فيها الشاعر ذلك السائح المندهش واللمّاح والمدقق وهي من هنا تثريه، إنها غالبًا ما تلهيه وتلهبه أيضًا.

في عام 2010 سافرت إلى صنعاء كمدينة حاضنة يجتمع فيها كل اليمنيين، ويسمونها "الأم". مدينة فيها الأمل والعمل والأهل والأصحاب.

وفي ذلك العام، بداياته تقريبًا قصدت صنعاء من خلال تلك الوجهة التي أمضيتها آتٍ من ريف الحجرية صوب مدينة تعانقك بكل تاريخها حين تصل.

وكان غرضي لذلك واحد وحيد وهو العمل لكني والاعتراف هنا صريح لم أعمل. في تلك الفترة كان يوجد الكثير من الفرص والأشغال وكنتُ حينها مستقرًا وأحصل بسهولة على أي مصاريف أريدها.

أتحدث الآن عن هذه المدينة من أوان متجذر. حتى وإن لم يعد قديمها مثل جديدها، وقت كانت لي ثمة أحلام، وكما لا أحزن، سأتحدث عن واحدة منها الآن، وهي أن أصبح طبيبًا. من هاتفي، الآن في معرض الذكريات النوستالجية لم أعد أشاهد شهادتي الثانوية، إنما صورة فوتوغرافية التقطتها إلى جانب شاعر اليمن عبدالعزيز المقالح، ولي مع هذه الصورة قصة.

في ذات يوم بعيد والفرح ينبع من ملامحي وينضح داخل القلب، عدت إلى جدتي التي كانت بطرحتها الصنعانية "الستارة" المنقشة بألوان عدة وبجلوسها المعتاد في الديوان الصنعاني. أشبه بملكة يمنية هي من التراث، أخرجت لها الصورة وناولتها باليد، لم تقل جدتي شيء، لكنها بكت، وهذا أعظم شيء قالته دموعها التي لا أزال أسمعها إلى اليوم.

كانت قد تمنت حينها أن يطول بها العمر، لكي تراني وقد أصبحت ما أردت، وقد تحققت أحلامي، لكنها لحظة البكاء تلك، كانت تعرف أنها ستموت قبل أن يتحقق حتى أي حلم، على الأقل حلم بقائها.

في 2014م قامت الحرب في اليمن، وبدلاً من السفر إلى صنعاء وغيرها من المدن، أصبحت أهاجر. وهذه المرة مكثت في صنعاء هجرتي هذه مدة ست سنوات. سنوات تفاقم معها الوضع المعيشي الذي تحول إلى لعنة يمنية، واعتبرتها تقارير منظمات التغذية العالمية الأزمة الإنسانية الأولى في العالم. ضاعت الدولة وضاع كل شيء. حتى أنا، ولم يعثر علينا، على الجميع، إلى الآن. تمزقت البلاد، ولا زالت تتمزق، امتدت النقاط في شمال وجنوب اليمن، وحدث مرة أن سافرت خلال ثمان سنوات حرب من الحجرية في ريف تعز كالعادة إلى عدن وإلى صنعاء ومن صنعاء أيضًا عدت مرات إلى الريف، شملت وشرقت وغربت، وفي كل مرحلة أو سفر مني كان يحدث شيء وقح صراحة، فُتشت في نقاط أمنية هنا وهناك وسُئلت كثيرًا عن عملي وهويتي اليمنية وأحلامي وانتمائي.

اختفى كل شيء جميل كنا نراهن عليه، وضاعت أحلام كثيرة، لكن صورتي مع عبدالعزيز المقالح الذي اتهم بالزندقة ذات يوم بسبب قصيدة كتبها واتهم بأنه مثقف السلطة، لم تضع الصورة، ولا تزال بحوزتي. ما يؤلمني أحيانًا ويشعرني أنني شخصية عبثية غير مهتمة، هو أنني لم أوثق لهذه اللحظة فأكتب على خلف الصورة التاريخ كما يفعل الكثيرون.

وحده تاريخ وفاة جدتي التي هي آخر ما تبقى لي في صنعاء مؤرخ. كان ذلك عام 2018. بكيت كثيرًا وكانت هذه هي المرة الأولى التي أشاهد فيها ميتًا مكفنًا بالأبيض والزهور والشذاب والشقر على جانبي رأسه، وهي المرة الأولى التي أدخل فيها مقبرة خزيمة التي مررت فيها هناك على قبر البردوني وعبدالرقيب عبدالوهاب نعمان. لكني لم أتحدث عن المقبرة ولا مرة. فقط كانت المقبرة تسبقني إلى كل مكان أمشي إليه، وعليه تحت كل خطوة في بلادي مقبرة، مقبرة في المؤسسة الحكومية والخاصة وأخرى على الجدران، وفي القصيدة، إلى درجة أن الوطن أصبح مقبرة خزيمة التي دفنت فيها جدتي والنعمان والبردوني والتي سندفن فيها نحن.

جدتي فاطمة حمود ابنة صنعاء القديمة من بيت الهيلمة شارع الأبهر، تحب أغاني السمة والحارثي والسنيدار، وتعجن الملوج الصنعاني، وتحب الكباب وتطبخ الحلويات الصنعانية الرواني والشعوبيات، مصدر حنيني واشتياقي الذي دفعني للسفر نحو صنعاء عدة مرات.

أحب الستارة الصنعانية التي كانت تريدها. ويعتريني أحيانًا شوق إلى شراء واحدة منها لحبيبة مستقبلية.

عبدالعزيز المقالح هو واحد من أهم المثقفين اليمنيين، كتب الكثير عن هذه المدينة وارتبط بها روحًا ووجدانًا، وُلِد المقالح في 1937م وتوفي في 2022م، قرأنا له كثيرًا حتى في المنهج الدراسي، هو جزء من هذه النوستالجيا الصنعانية. لم يعد حلمي أن أصبح طبيبًا، درست عامًا ونظرًا لظروف كثيرة مادية وروحية أوقفت قيدًا، وقد قررت مؤخرًا العمل، لكن لم يعد هنا ثمة عمل، وجدتي ماتت، حتى المقالح، الأهل كذلك والأصحاب غادروا، وصنعاء لم تعد في صنعاء، ولكننا لا نزال نبحث عنها.

- **الصورة بعدسة: إيمان المزيجي.**

ذاكرة مدينة تتآكل: صنعاء والثقافة في زمن الغياب.

عبير اليوسفي
رئيسة تحرير نشرة ظلال.

هذا المقال بالتعاون مع نشرة ظلال. (1)

شكلت صنعاء لعقود طويلة مركز الثقل الثقافي لليمن، وواحدة من أبرز الحواضر الفكرية في شبه الجزيرة العربية. لم يكن هذا الدور وليد مصادفة جغرافية أو رمزية دينية، بل نتاج تراكمي لحضور مؤسساتي فاعل في النشر والتعليم والمكتبات، ومبادرات فردية وجماعية أسهمت في تكوين مشهد ثقافي متماسك، رغم هشاشة البنى السياسية والاقتصادية المحيطة. غير أن السنوات الأخيرة وبفعل الحرب وتراكم الأزمات الاقتصادية والإدارية، أدت إلى حالة من الانهيار الثقافي المركب، بدأت بتآكل البنية التحتية للثقافة، وانتهت بعزلة شبه تامة فرضت على المدينة ومبدعيها.

من أبرز مظاهر هذه العزلة، التراجع الحاد لدور المكتبات. لم تعد مكتبات صنعاء مجرد مكان لبيع الكتب أو استعارتها، بل شكلت لعقود فضاءً للقاء القراء والمهتمين، ومنصة لتداول المعرفة وتوسيع الأفق العام. إلا أن إغلاق عدد كبير منها وعلى رأسها مكتبة "أبي ذر الغفاري"، التي كانت من أقدم وأغزر المكتبات تنوعًا، يشير إلى فقدان المدينة لجزء حيوي من رئتها الثقافية.

هذا التراجع لم يكن مرده تراجع الطلب فقط، بل جاء نتيجة خلل بنيوي طال العملية كلها، ارتفاع أسعار الكتب، صعوبة الاستيراد، الرقابة على المطبوعات، وتقلص القوة الشرائية لدى جمهور محدود الموارد أساسًا.

الإغلاق القسري للمكتبات لا يمثل فقدان مؤسسات مادية فحسب، بل انهيارًا لمنظومة التوزيع الثقافي نفسها. ومنذ توقف المعارض السنوية للكتاب منذ عام 2013، انقطعت إحدى القنوات الأساسية التي كانت تربط القارئ اليمني بالمشهد الثقافي العربي. توقفت العناوين الجديدة عن الوصول، وتضاءلت فرص التفاعل مع النتاج الأدبي والفكري المعاصر، وأصبحت المدينة معزولة عن دورة الكتاب.

تحولات النشر ومسارات النجاة المحدودة:

في هذا السياق، لم تعد حركة النشر في اليمن تعاني فقط من صعوبة الوصول إلى دور نشر فاعلة، بل من غياب البيئة التي تستقبل وتحتفي بالإنتاج الجديد. فقلة من الكتاب يستطيعون نشر أعمالهم داخل اليمن، ومن يتمكن من الطباعة في الخارج يصطدم بعوائق التوزيع وندرة النسخ داخل بلده.

ولجأ كثير من الكُتاب مضطرين إلى النشر الرقمي كبديل مؤقت، مستفيدين من منصات إلكترونية مجانية أو منخفضة التكلفة.

ولجأ كثير من الكُتاب مضطرين إلى النشر الرقمي كبديل مؤقت، مستفيدين من منصات إلكترونية مجانية أو منخفضة التكلفة.

> **اليوم، يعيش الكُتاب والفنانون والقُراء في صنعاء غربتهم داخل مدينتهم.**

وفي المقابل، غير القارئ اليمني من عاداته متجهًا نحو الكتب الإلكترونية، سواء عبر التطبيقات المجانية أو بصيغة PDF، وهو ما انعكس حتى على بعض المكتبات التجارية، التي أصبحت تعتمد على طباعة نسخ مصورة من الكتب الرقمية لتلبية الطلب. هذه الظاهرة تعبر من جهة عن تعطش القارئ واستعداده للتأقلم مع الواقع، لكنها من جهة أخرى تكشف هشاشة البيئة القانونية والثقافية التي تدير علاقة الناس بالمعرفة، حيث تُطبع الكتب دون اتفاق مع أصحابها، وتُتداول بشكل غير رسمي، ما يعكس أزمة عميقة في البنية التحتية للثقافة والنشر.

كل ذلك يجري في ظل غياب الدعم المؤسسي، وانقطاع الصلة بدور النشر، وتراجع الحضور الإعلامي للكتاب اليمني. وإذا كانت هناك محاولات فردية مثل "صالون نون الثقافي" تحاول أن تخلق مساحة للحوار واللقاء، فإنها تظل محدودة الأثر، وتواجه صعوبة في الاستمرارية والتوسع.

اليوم، يعيش الكُتاب والفنانون والقُراء في صنعاء غربتهم داخل مدينتهم. لا مسرح، لا دور عرض، لا مهرجانات، ولا حضور للكتاب في الحياة العامة. وهذا يعني أن الجيل الجديد في صنعاء يعيش في بيئة شبه معطلة ثقافيًا، حيث لا يستطيع أن يكون قارئًا منتظمًا، أو متابعًا للإنتاج العربي والعالمي، أو حتى جزءًا من النقاش العام حول الأفكار والتحولات.

ما يتبقى هو جهود فردية مبعثرة، تعاند الفراغ وتحاول أن تُبقي على شيء من الذاكرة الثقافية لهذه المدينة التي نالت قبل عشرين عامًا لقب "عاصمة الثقافة العربية"، بينما تعيش اليوم واقعًا لا يمتّ إلى ذلك اللقب بصلة. وإذا استمر هذا الانقطاع، فإن سؤال المستقبل الثقافي في صنعاء سيظل معلقًا في فراغ لا يجيب عليه أحد.

فهل تستطيع صنعاء إيجاد السبيل لاستعادة إرثها الثقافي وإعادة بناء جسور التواصل بين الكاتب وجمهوره ؟

هـوامـش:

1. نشرة مستقلة، تنصت لنداء المعنى. مساحة حرّة للتأمل، تعبر حدود الزمان والمكان، وتكتب للذين لا يكتفون بالخبر بل يبحثون عمّا وراءه: في الفكر، في الجمال، وفي ما لا يُقال. اضغط هنا للمتابعة.

صنعاء: عبق التاريخ وأسرار السياسة.

جابر الصلاحي
طالب العلاقات الدولية في جامعة بندرما 17 أيلول التركية.

صنعاء، بين ماضيها العتيق وحاضرها الشامخ كشموخ جبالها، تقف كجسر يربط التاريخ بالواقع. خلف هذه المدينة، توجد آلاف القصص والحكايات، فكل بيت، وكل معلم أثري، شاهد على عبقها التاريخي، وعلى عراقة ماضيها المليء بالأحداث والجمال.

في كل طوبه من بيوتها العتيقة، تختبئ قصة من قصص الصراع على الحكم، وعلى كل شرفة مطلّة على الأسواق القديمة، يمرّ طيف إمام أو رئيس أو قائد، غاب صوته، لكن صدى قراراته لا يزال يتردد في أزقتها القديمة. يا ترى، ما سر هذه المدينة التي صُنعت من ياجور، وبُنيت برؤية السماء؟ لماذا يُصرّ التاريخ على أن تكون هي بوابة اليمن؟

لعل سحر الموقع وتربّعها في قلب اليمن جعل منها شريان الحياة السياسية، والبوابة التي لا يمكن تجاهلها في أي معادلة، فهي وحدها من استطاعت أن تجمع بين القبيلة والدولة، بين قدسية الدين، وروح المدنية، بين السيف والقلم.

وإذا ما نظرنا إلى تأثيرها السياسي، فالسيطرة على صنعاء لم تكن يومًا مجرد نصر، بل كانت دائمًا إعلانًا عن امتلاك مفاتيح اليمن كلها.

ولهذا، ظلّت محل تنازع منذ فجر الجمهورية، مرورًا بالحروب المتتالية، وحتى يومنا هذا.

كل جهة ترى فيها الكنز الأكبر، والرمز الأسمى للشرعية والسلطة. فمنذ عهد ملوك سبأ، إلى دويلات متتالية، ثم الجمهورية العربية اليمنية، ومن ثم الوحدة اليمنية عام 1990، كانت صنعاء دائمًا عاصمة القرار اليمني.

ورغم كل التحديات، والحروب، والأوجاع التي ألمّت بها، إلا أن شموخها لا يكاد يغيب عنها، ولو للحظة من الزمن. إنها صنعاء... ومع كل هذا الألم والصراع، إلا أن حضورها السياسي يظل طاغيًا، إذ لا يمكن للعالم ولا لليمنيين الوصول إلى تسوية سياسية عادلة، إلا بالمرور عبر بوابة صنعاء فيها حجر الأساس للحرب والسلم في آنٍ واحد. فهي البوصلة التي لا تخطئ الاتجاه.

فهل ستظل صنعاء في دوامة الصراعات؟ أم سيدرك اليمنيون أنه لا بد من التفكير في مستقبلها، وضرورة إعادة إعمارها واستعادة ذاكرة الوطن فيها ولمن أراد أن يكتب قصة اليمن، لا مفر من أن يبدأ... أو ينتهي... عند صنعاء.

صنعاء: بين ضوء التاريخ وظلال الحلم.

يونس الشهاري
طالب يمني في نيثرلاند.

صنعاء، المدينة التي يتكلم عنها الناس في التلفاز. كنتُ هائمًا نائمًا طوال الليل بعد صيام آخر أيام رمضان، منتظرًا بزوغ فجر يوم الفطر. في الصباح، كان الجميع قد استيقظ، يلبسون ثياب العيد، ووالدي يملأ المنزل تكبيرًا وتهليلًا كما هي عادته. واتجهنا إلى إحدى الجبال القريبة التي يجتمع إليها الكثير من أهالي القرى المحيطة بذلك الجبل لأداء صلاة العيد. كبَّرنا وهلَّلنا وحمدنا الله واستمعنا إلى الخطبة، ثم انطلقتُ ووالدي متوجهين لزيارة الأقارب والأرحام.

هنا شاءت الأقدار أن ألتقي بابنِ عمٍّ لي كان له أختٌ في صنعاء، فسمعته يخبر والدي أنه منطلقٌ الآن إلى صنعاء. صنعاء! ما هي صنعاء؟ أهيَ تلك التي يتكلم عنها الناس في التلفاز؟ أهي تلك المدينة التي تنير اليمن كما كان يخبرني والدي؟ أهي صنعاء التّبع والزبيري والمقالح؟

"ما رأيك يا أبا يونس أن تسمح لي بأخذ يونس معنا!" هكذا قالها ابن عمي لوالدي، فأطرقتُ برأسي إلى الأرض وأغمضتُ عيني وبدأتُ بالدعاء كي يوافق والدي. ولكنه، لحسن الحظ، لم يكن يحتاج دعائي، حيث قال: لا بأس. أعطاني بعض الأوراق النقدية، وتوجهتُ من ساعتي مع ابن عمي وإخوته الآخرين إلى صنعاء.

تلك كانت أول مرة أذهب فيها إلى صنعاء.

الجمال في صنعاء هو صيتُها النقي الذي يسبقك إليها قبل أن تعرفها حقيقةً أو تسكن فيها، فتحبُّها وتطلب وصالها كإيماننا بالجنة ولم نَرَها. وتظل في نفسك تردد قول القائل: "لا بد من صنعاء وإن طال السفر." وفي ذكر هذه العبارة، مرةً كتبتُ لصديقٍ لي زار صنعاء أبياتًا حاولتُ فيها أن أكون شاعريًّا ولا أعلم هل استطعتُ أم لا، قلتُ فيها:

دربُ السلامة أيها الشعراءُ
أهلاً وسهلاً قالهتا صنعاءُ
يا ليت قلبي بينكم متنعِّمًا
وتفوز روحي ترتوي أحشاءُ
(لا بد من صنعاءَ) قِيلت
هكذا سنزورها أو تأتِنا صنعاءُ.

تلك المدينة التي تحرسها الجبال، وتلتقي عند قممها بالسماء، فكأنك عندما تنظر إليها من أعلى، ترى قلادةً دائرية من الجبال الشاهقة تتصل بعضها ببعض، مكوِّنةً جدارًا حول الجوهرة الأثمن في هذه القلادة، فتنظر إلى تلك الجوهرة لترى شارع الزبيري الثائر،

قصر غمدان السبئي. ثم ترى جوهرة الجوهرة، وهي المدينة الأصلية التي سميت بصنعاء، وهي حاليًا "صنعاء القديمة".

«وهي أم اليمن وقطبها لأنها في الوسط منها، ما بينها وبين عدن كما بينها وبين حد اليمن من أرض نجد والحجاز، وكان اسمها في الجاهلية آزال، ويسميها أهل الشام القصبة، وتقول العرب: لا بد من صنعاء، ولو طال السفر.» هكذا قال الهمداني في كتاباته.

> **"البساطة" التي تكلم عنها المقالح في أنها سر الأسرار في جمال صنعاء.**

دائمًا ما كانت اليمن عاصمةً للضوء والنور، فترى أفئدة اليمنيين كلهم متعلقة بها. ما إن يشتدّ عود الشاب اليمني حتى يحزم أمتعته متجهًا إلى صنعاء، فإما يصل إلى جامعاتها، أو إلى أسواقها وأرزاقها، وإما يصل إلى جمالها وهو غاية الطّلب. أسلم أهلها برسالة من رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأعتقد أن هذه هي "البساطة" التي تكلم عنها المقالح في أنها سر الأسرار في جمال صنعاء، إلى جانب بساطة طابعها المعماري التليد "الذي يقف في وجه الزمن". قال ابن بطوطة في رحلته: "وصلنا إلى صنعاء، وهي مدينة عظيمة حسنة البناء، ذات أسواق عامرة وقصور شاهقة."

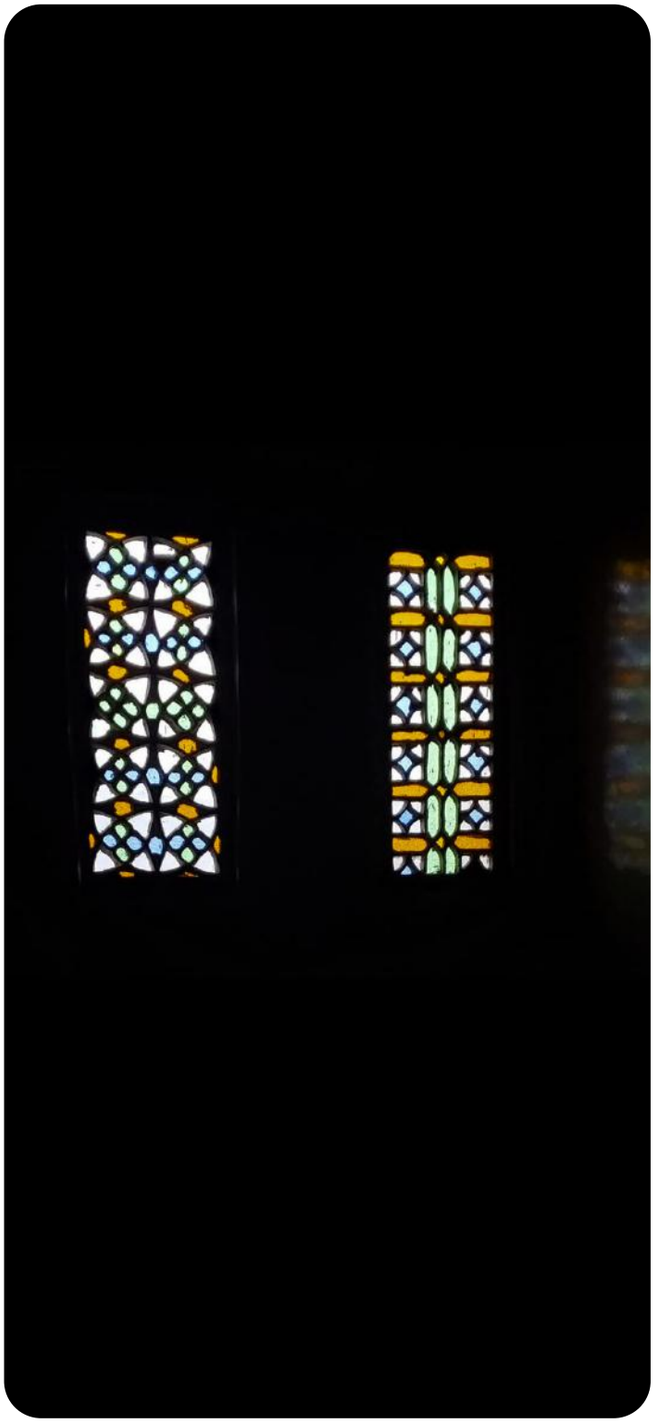

- **الصورة بعدسة: إيمان المزيجي.**

صنعاء: حين يسكنني المكان.

ثابت القوطاري
عضو نادي القصة - إل مقة.

(1)

علاقتي بالأمكنةِ ليستْ واحدةٌ، فأنا أولدُ من جديدٍ في كلِّ مرةٍ حين أسكن المكان ويسكنني. فللأمكنةِ أرواحها المجنحةُ التي تخلق داخلنا معجزةً من الحبِّ والأملِ، فوحدها الأمكنةُ يمكن أن تخلقنا من جديدٍ.

(2)

خلالَ جولةٍ صباحيةٍ حول (صنعاء) ذات يومٍ، وفي لحظةِ سكونٍ يتحرشهُ بردُ الشتاءِ، تذكرتُ قريتي؛ تلك الجغرافيا التي تربطني بها علاقةٌ سطحيةٌ، فقد كانتْ بخيلةً معي، لم توفرْ لي المدى الذي وفرته لي (صنعاء)، فليسَ في القريةِ أكثرُ من أفقِ الطبيعةِ الممتد، أما غيرهُ فقدْ غيبتْه السياسةُ.

(3)

كثيراً ما أسأل نفسي: ماذا لو كنتُ لا أزال أقطنُ تلك الجغرافيا: (القرية)؟

أنا مدينُ لـ(صنعاء) التي منحتني بُعداً مختلفاً، وأعطتني علاقاتٍ كثيرةٍ وجميلةٍ، وصنعتني على نحوٍ لم تكنْ القريةُ قادرةٌ على صنعهِ مطلقاً.

(4)

انتقالي إلى (صنعاء) في عام 1997م مثلَّ لي خروجاً من سياق تاريخي منغلق، إلى آخر أكثر رحابة واتساعاً، أشعر معه أنَّ حياتي كلّها مبنيةٌ على جملةٍ من المصادفات الجميلة، والاستحقاقات الغيبية، والتي بنتْ شخصيتي بناءً مهماً، وعلى نحوٍ مختلفٍ عمَّا كانتْ عليه أو ستكون لو كنتُ لا أزال أسكنُ القريةَ.

(5)

تبقى (صنعاء) جوهرةَ الأماكنِ، وحدها تسكنُ الوجدانَ والذاكرةَ، مخلصةٌ دوماً لكلِّ عاشقٍ، ليستْ بخيلةً مع أحدٍ، لم أعدْ أدري مَنْ منّا السيفُ، ومَنْ الغمدُ، فهي تسكنني وأنا أسكنُها.

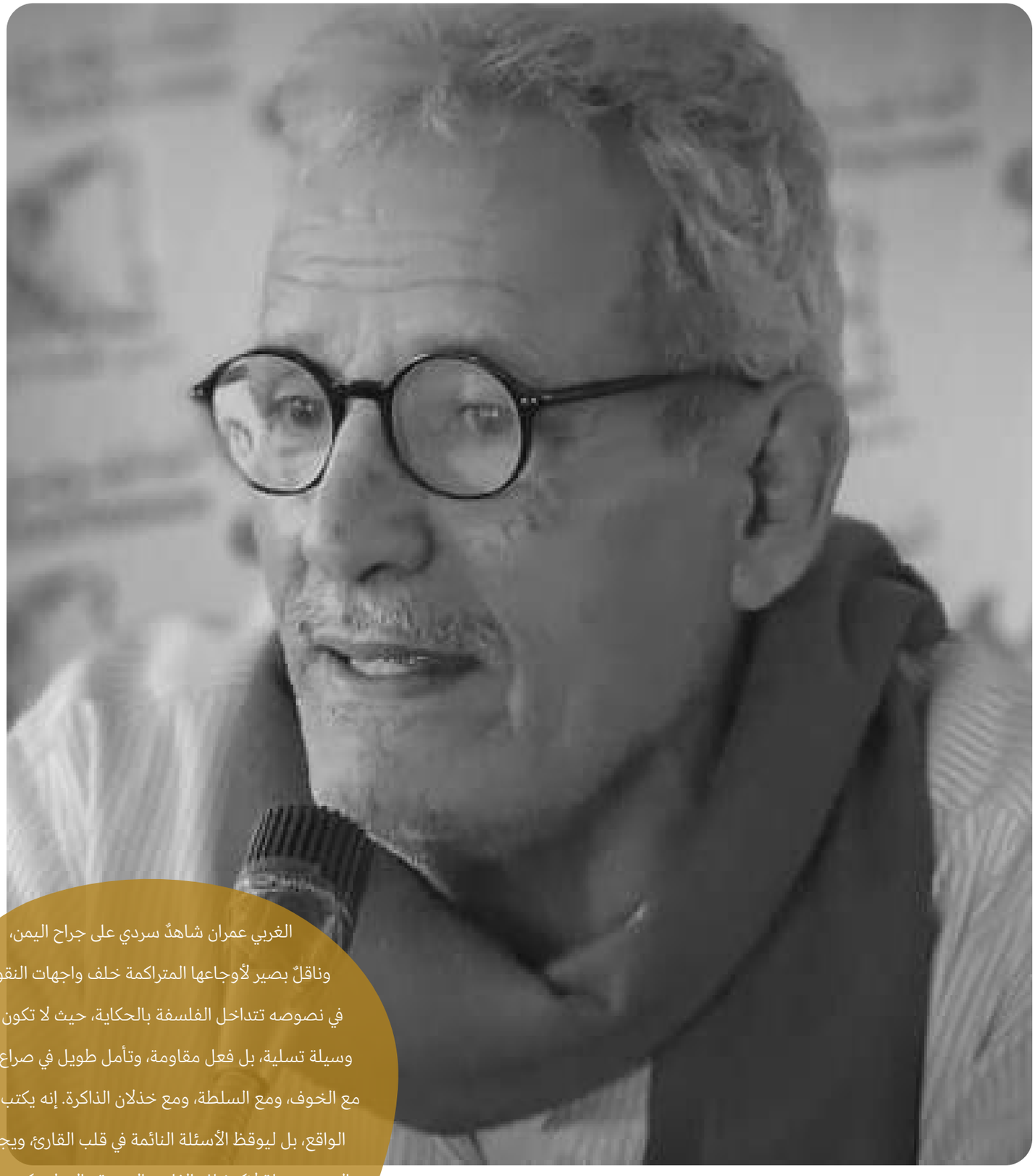

- **الروائي: الغربي عمران، التقاطة: محمد طه.**

الغربي عمران شاهدٌ سردي على جراح اليمن، وناقلٌ بصير لأوجاعها المتراكمة خلف واجهات النقوش. في نصوصه تتداخل الفلسفة بالحكاية، حيث لا تكون الكتابة وسيلة تسلية، بل فعل مقاومة، وتأمل طويل في صراع الإنسان مع الخوف، ومع السلطة، ومع خذلان الذاكرة. إنه يكتب لا ليصف الواقع، بل ليوقظ الأسئلة النائمة في قلب القارئ، ويجعل من السرد وسيلة لاكتشاف الذات والمدينة والوطن، كمن ينقّب في أنقاض المعنى بحثًا عن نجاة روحية وسط الركام.

بشار العقاب، رئيس التحرير.

الكتابة كفعل مقاومة: حين ينوب الخيال عن المحكمة.

حوار مع الروائي الغربي

حاورته: سلا القحطاني، مسؤولة المتابعة والتنسيق لدى المجلة.
اشرف على اللقاء: عبده تاج، مدير التحرير.

محمد الغربي عمران.
روائي، وبرلماني يمني. معروف بروايته المثيرة للجدل مصحف أحمر. ولد في ذمار ودرس التأريخ في جامعة صنعاء وحصل على درجةالماجستير في هذا التخصص. نشرت أول رواية له رواية مصحف أحمر من بيروت 2010، تناولت الرواية المشاكل الاجتماعية الشائكة مثل التطرف واضطهاد المرأة في المجتمع اليمني.الغربي عمران يرأس نادي القصة اليمني (إل مقه). حائز على جائزة الطيب صالح عن روايته «ظلمة يائيل».

في "مجلة أوام الثقافية"، لا نذهب إلى الكاتب لنسأله ما يقوله الجميع، بل لنستثير ما يصمت عنه. نتعقّب أثر المعنى حين يُخلّفه كاتب في الظلّ، بعيدًا عن ضجيج المنصات وسطحية اللحظة.

قابلنا الروائي الغربي كحالة وجودية، شاهد يكتب من تخوم الألم، من قلب بلدٍ لم يعرف السلام إلا بوصفه حلمًا مؤجلاً. اخترنا أن نحاوره لأن رواياته مختبرات سردية تفكّك بنية العنف، وتنبش في الجذور العميقة للقهر، وتعيد للإنسان اليمني ملامحه وسط ركام التشويه والتسييس.

الغربي يكتب الحرب من داخلها؛ يفككها كقدرٍ صُنِع بإرادة بشرية. نصوصه تواجه، ولا تهادن؛ تقتحم المسكوت عنه، وتقاوم النسيان بتخييلٍ مسكون بالحقيقة. في زمنٍ باتت فيه الرواية مكمّلة للسلطة أو بوقًا للضجيج، يختار الغربي أن تكون معولًا في جدار الصمت.

قابلناه لاستنطاق تجربته، ولأن ثقافة السلام التي نؤمن بها لا تنشأ من التمنّي، بل من مساءلة الجرح، من فهم آليات الخراب، ومن إعادة الاعتبار لفعل الحكي كمساحة للمقاومة والنجاة.

في الغربي عمران نرى اليمن كما لا تُظهره الأخبار: بلدًا يحاول أن يكتب ذاته رغم الخوف، وأن يستعيد صوته في زمن التكميم. ومن هنا تبدأ الحكاية.

- من هو الغربي عمران؟

- وليد يحمل إثم قتل ليس له يد فيه، وإن كان هو أحد عوامله.

- هل تفرض عليك الأحداث نوع السارد في رواياتك، أم أنك تتحكم فيه وفق رؤيتك الخاصة؟

- أسهل سارد هو العليم، سارد مريح، وأنا أفضله. غير أنني أغيره وفق تخطيطي للشخصيات، وأسعى لتنويع السارد كي لا يمل القارئ. وطبعًا هناك شخصيات تفرض صوتها.

- لماذا قد يرغب الغربي في تكرار شخصية ما في عمل جديد ولكن بصياغة مختلفة؟

- في رواياتي، تجد أن الشخصية تظهر في رواية ثم في التي تليها. فمثلًا، في "ظُلمة يائيل" كانت بداية أروى، لتظهر لاحقًا في الرواية التالية "مملكة الجواري"، لأن الروايتين تعالجان فترة الدولة الصليحية، والشخصيات – أو قلة منها بحكم زمن الروايتين – تظهر فيهما. وهكذا في الروايات التي تتكون من جزأين، تظهر الشخصية هنا وهناك.

- لماذا تغيب اللهجة العامية عن رواياتك؟ وهل تعتقد أن الفصحى أكثر قدرة على نقل التجربة السردية؟

- العامية إحدى أدوات الكاتب، لكن يجب أن يكون قديرًا في توظيف تلك الأداة. في الحوارات، آتي بها – وإن بشكل طفيف – لتقريب الشخصية من القارئ. لكن السرد بشكل عام أحرص فيه على الفصحى، لأن رواياتي بطبيعة نشرها تصدر عن دور نشر عربية، وتُوزع في أقطار عربية مختلفة. وقد تكون اللهجة حجر عثرة أمام القارئ المغربي أو العراقي. فالعامية في أي قطر لها مكانتها، وتحمل موروثًا عظيمًا للمجتمعات، ولكن حين يكون العمل يهدف للوصول إلى مجتمعات مختلفة اللهجات، على الكاتب اختيار اللغة الأكثر شمولية.

- في "ظلمة يائيل"، نجد وصفًا دقيقًا للمكان ولتفاصيل مثل أرفف الكتب وأزقة المدن. هل للوصف في أعمالك دلالات تتجاوز الجانب الجمالي؟

- الوصف هو جانب جمالي ودلالي، يقرّب بيئة مجتمع الرواية للقارئ، وهو أحد أركان الرواية. غير أن الإفراط فيه أو قلته يُخلّ بالتوازن. في "ظلمة يائيل" حاولت أن أقدّم بيئة قديمة، وقيمًا، وأدوات غير معروفة في عصرنا إلا لمن يقرأ عن ذلك العصر، فكان لزامًا أن أُكثِر من الوصف ليشاركني القارئ تلك الأجواء وأساليب حياة ذلك المجتمع الذي نحن اليوم أحد نتائجه.

- في "ظلمة يائيل"، تقول أم جوذر: "الأسماء تشبه أصحابها". هل تعتقد أن أسماء شخصياتك تعكس صفاتهم؟ وكيف تختار أسماء أبطالك؟

- أنا أشقى في اختيار أسماء شخصياتي بما يناسب العصر وتكوين الشخصية. ولذلك يجد القارئ أن أسماء الشخصيات في رواياتي غريبة، لكنه سريعًا ما يتقبلها ويألفها مع إبحاره في عوالم الرواية. ومعظم من قرأ رواياتي يذهب للبحث عن معاني ومدلولات تلك الأسماء، وقد يجد ما لم أقصده، وإن أضاف له ذلك أبعادًا أخرى.

- لماذا يشغل المكان حيزًا محوريًا في رواياتك؟

- ستجد الوصف محوريًا، وكذلك الحوار، وكما قلت، المكان كما هي الشخصيات محورية، وتلك من خصائص الرواية، لا غنى للكاتب عنها. ولم أطلع على رواية حتى الآن ينعدم فيها المكان، وإن كان حجمه يختلف من رواية إلى أخرى، فالمكان عنصر أساسي.

- تميل إلى إبراز التعددية في رواياتك، كما في "ظلمة يائيل"، حيث تظهر ديانات مختلفة وأطياف سلطوية متعددة. هل ترى أن هذا يخدم التاريخ أولًا أم الأدب؟

- التاريخ ما كان، والرواية لما كان متخيل. وما يعيشه الإنسان المعاصر في شتى القارات هو نتاج حياة الأمس. فالمجتمعات الأوروبية عاشت ويلات هيمنة الدين وتجاوزته إلى الأنظمة المدنية، وهكذا مجتمعات في الشرق والجنوب، إلا أننا نجتر الماضي ونعيش بأدواته ولم نتعلم أو نخرج من عنق الزجاجة. ولذلك، لا نعيش الدين الواحد، بل ورثنا مذاهبه لمزيد من الاقتتال والتدمير. وفي رواياتي أحاول تقريب تلك التباينات الحادة في الدين الواحد من خلال تعدد المذاهب وتناحرها الدائم، عسى أن ننهض لنخرج منها إلى الحكم المدني.

- استخدمت اقتباسات دينية في "ظلمة يائيل"، هل كانت ضرورية للسياق الأدبي أم أنها تحمل رسائل أعمق؟

- الرواية تدور أحداثها في زمن بعيد، بأمكنته وشخصياته، محاولة لتقريب لغتهم وأساليب تفكيرهم ورؤيتهم للوجود ولما يحيطهم. وتلك الاقتباسات محاولة لإدخال القارئ في مناخ الرواية، وهي رسالة للقارئ بأن يرى أننا نجتر الماضي أيضًا.

- في "حصن الزيدي"، كيف ترى دور الدين والسياسة في بناء الحبكة؟

- الدين في جميع رواياتي يُعد عائقًا. فبعد أن شرذمته الجماعات إلى مذاهب للتناحر، جعلونا أمة متخلفة لا نقبل بالآخر، ولا حتى ببعضنا البعض.

لقد شوّهوا دين الله الحق العدل الذي أتى به سيد الخلق. أنظر إلى ما يدور في سوريا والسودان، وما يحدث في أفغانستان، والغد يرشح بقية مجتمعاتنا للاقتتال، لا لبناء الإنسان بالمحبة والتسامح كما دعا سيد الخلق في دين الحق.

- لماذا تحضر فكرة السلطة والدين بقوة في رواياتك؟

- لأنها حاضرة ومؤثرة بأثر سلبي قوي في حياتنا.

- غالبًا ما تتناول الصراع بين القبائل، الثأر، والطغيان. لماذا تجذبك هذه المواضيع؟

- لا تجذبني تلك المواضيع، ولكنها واقع نعيشه. وأنت ابن ريف، فما يتحكم في مجتمع الريف وأيضًا المدينة هي قيم القبيلة بتعدد مناحيها، ومنها ما يُنافي تطور الحياة، مثل حروب الثارات. ترى كم كان الشيخ عبد الله الأحمر ركنًا من أركان الدولة بقيم القبيلة، وعشرات، بل مئات من المشايخ، كانوا يمثلون ذلك الموروث، الذي كانت أدوات الحروب فيه من العوام. كما يُلاحظ أن المشايخ دومًا ما كان تحالفهم مع الجماعات، تجار الدين. ولذلك يعيش اليمن مكانك سر، والرواية انعكاس لهموم المجتمع.

- في "حصن الزيدي"، كيف تعكس مفارقة بداية الرواية ونهايتها مصير الشيخ مرداس وظلمه؟

- ستلاحظ تلك التحالفات القبَلية مع جماعات تجار الدين، وقدوم الثورة التي وُئدت، والثوار بعقول القبيلة، قليلوا الوعي بقيم الثورة الحقيقية التي تقود المجتمع للنهوض الفكري العظيم. ولذلك تجد حالنا اليوم يسألنا: أي ثورة تلك؟ بالونة.

- كيف يظهر المهمشون في أعمالك؟ وهل تعتقد أن الرواية يمكن أن تنصفهم أكثر من الواقع؟

- الرواية مرآة عاكسة لما نعيشه، ولا تُنصف أحدًا، فقط تُبيّن مواطن العيب والقهر والإمتهان، وتبعث على التساؤل في عقل القارئ ليبحث بدوره عن أجوبة لها. وحياة المهمشين عار إنساني وديني وقيمي.

- حضور المرأة في أعمالك، لا سيما في "بر الدناكل" و"أساور مأرب"، يوحي بدفاعك عن قضايا النساء. كيف تفسر أن الكثير من النساء، خاصة المنتميات إلى مذاهب دينية متشددة، لا يعترفن بحقوقهن ولا يردن أي حلول للقضايا التي يعانين منها، بل يرضين بها تمامًا؟

- رواياتي بشكل عام روايات للمرأة، فالشخصيات المحورية نساء، ويظهرن فاعلات ومؤثرات. لا أخطط لذلك، لكني أجد المرأة في رواياتي كلها متصدرة، وقلة من الرجال يظهرون بشكل جيد، وكأن رواياتي تدين ما نعيشه من سوء إدارة الرجال لحياتنا.

أو كأن رواياتي تقول: لنُفسح المجال لأمهاتنا وبناتنا وأخواتنا، وكفى امتهانًا لهن.

- هناك جدل حول الجوائز الأدبية، فالبعض يرى أنها ليست مقياسًا للإبداع، بينما يرى آخرون أنها مجرد ضجة مفتعلة. كيف تنظر إلى هذا الأمر؟

- دومًا من يُثيرون الشكوك حول الجوائز هم من لم يفوزوا. وفي إحدى الصحف العربية قرأت هجومًا لناقد معروف على إحدى الجوائز مفندًا عدم مصداقيتها، ليتضح لاحقًا أنهم لم يختاروه ليكون ضمن لجنة التحكيم، فالمسألة مصلحة، إن لم تُقضَ، هاجمنا. الجوائز بلا شك هي عمل واجتهاد، وفيها إيجابيات عظيمة لدعم الأدباء والأدب، وما يحصل من هفوات - إن وجدت - لا ينتقص من دورها العظيم. فلا تصدق المرجفين.

- كيف ترى الرواية اليمنية الحديثة؟ وهل يمكن اعتبارها موقفًا اجتماعيًا أو سياسيًا؟

- في ظل الوضع الذي يعيشه اليمن من بؤس وفقدان للرعاية، الرواية والأدب جيدان، ينافحان ويقولان: نحن هنا. والغد أروع بإذن الله.

- ما سر ارتباطك الكبير بصنعاء في رواياتك؟ وكيف تؤثر هذه المدينة في رؤيتك السردية؟

- من لا يتأثر بصنعاء وهو يعيشها؟ يكفي أن تسير في أزقتها، وتتأمل عظمة إنسانها ووعيه بالوجود من خلال دورها. صنعاء، لا أنا ولا أحد حتى الآن أعطاها حقها في الأعمال الأدبية والفنية، رغم محاولات عدة. صنعاء فاتنة، نهر من الجمال، سماء من البهاء والعطاء. مؤثرة جدًا في تكويني ورؤيتي للوجود، مؤثرة وعصية.

- في رواياتك التاريخية مثل "مصحف أحمر" و"ظلمة يائيل"، تصف المدن والأماكن التاريخية وكأنك كنت من سكان تلك الأزمنة، مثل وصفك لصنعاء وظلمة الله ومكة. كيف تتمكن من تجسيد هذه الأماكن في أعمالك بهذه الدقة؟ وهل تشعر أنك تسافر عبر الزمن لتعيش تلك الحقب؟

- أنا حاصل على ليسانس في التاريخ، ودبلوم تمهيدي ماجستير في التاريخ المعاصر، ولذلك يمتعني التاريخ، أماكنه وشخصياته. غير أنني أجزم بأن كل ما كُتب في التاريخ ليس حقيقياً ما حدث؛ فمعظمه تاريخ المنتصر، ومن كتبه إما موظف لديه أو كتبها تقرباً. وما أكتبه هو تاريخ متخيل لما لم يحدث، ولشخصيات من عوام الناس مبتكرة. أما المكان التاريخي، من سكن إلى دور عبادة وساحات حرب وطرق، فهو ما أحاول استحضاره بالوصف ليعيشه القارئ.

- كثير من قرائك يعتبرون أن نهايات رواياتك، لا سيما "مملكة الجواري" و"الثائر"، تتركهم في حالة من التساؤل والشتات، ولا يريدون لها أن تنتهي. لماذا اخترت أن تترك النهايات مفتوحة وغامضة بدلاً من تقديم خاتمة حاسمة؟

- بعض رواياتي يصعب علي إنهاؤها بما يرضي القارئ، وتلك التي لها جزء ثانٍ، مثل "ظلمة يائيل"، تركتها مفتوحة من أجل أن أواصل في "مملكة الجواري". في "الثائر"، أردت أن يُدرك القارئ ويشاركني أن ثورتنا لم تكتمل، وأنها لم تكن ثورة. وشاهد ما يحصل في اليمن اليوم، ولتعرف أنها كُتبت في عامي 2012 و2013، وصَدرت من بيروت عام 2014. ثم إن أكثر النهايات المفتوحة تعطي القارئ فرصة لتخيل نهايات محتملة، ويشارك الكاتب في الدخول إلى عوالم الرواية. وقد يكون ذلك عجزًا مني في عدم إنهائها بما يرضي القارئ.

- هل تعكس النهايات المفتوحة في رواياتك حالة من الواقع الذي يفتقر إلى الحسم أو اليقين؟ وهل هذا هو السبب وراء اختيارك لهذا النوع من النهايات؟

- وهذه إجابة محتملة، فالرواية دومًا هي فن الاحتمالات والقراءات المتعددة.

رواية
برّ الدناكل
الغربي عمران
نوفل
رواية
جائزة
راشد بن حمد
الشرقي للإبداع
2019
حصن
الزيدي
الغربي عمران
نوفل
رواية
مملكة
الجواري
محمد الغربي عمران
نوفل

الغربي عمران: ظلّ المدينة الذي دوّن نداءها.

إعداد وتقديم: ذكريات عقلان
المحررة المسؤولة لدى المجلة.

الوليد الذي يحمل إثم قتل ليس له يد فيه، وإن كان هو أحد عوامله.

المتمرد المتفرد المجدد أدبياً.

الأب الروحي للمشهد الثقافي في اليمن.

ابن الواقع لا ابن التاريخ.

الثائر للمرأة في رواياته.

ذلك جزء من الغربي عمران (محمد الغربي عمران) وقبل الغوص أكثر في الأدب، نعرج لبعض مراحل حياته، سنصيغها كقصة قصيرة جميلة... انصتوا.

في صنعاء، تلك المدينة التي حينما تصحو صباحاً يُخلق عالماً كأنما جاء للعالم لأول مرة، الأصوات التي تغرد بها النساء قبل العصافير، الرجال الذين يتأهبون لعملهم بـ " يالله رضاك "، ثم لقمة دافئة تشد أزرهم، نسائم البرعي مع الزلابيا، أصوات الأسواق، رائحة المطاعم الصغيرة، جلابيب النساء السوداء والحمراء، أيادي الأطفال المتشبثون بوالديهم خوفاً من الزحام، في ظل هذه الأجواء يُولد عشاق هذه المدينة.

في عام 1958، حيث كانت المباني قليلة ومبنية الطين والجص، والمدراس تتناثر كشامة في خد حسناء، والمرافق الصحية تعد لشحتها، وُلد ذلك الطفل في حي... وأُسمي (محمد).

أخذ من صنعاء روحها الجميلة، التي تستوعب الجميع، صدرها الحاني الذي لا يرد أحداً، وشيء من ملامحها التي توزعها على محبيها.

بدأ يخط حروفه الأولى في دولةٍ أخرى (السودان) لكنه لم يلبث أكثر من عامين، ليعود لليمن لينحت في صخورها اسمه الذي سيخلد أدبياً فيما بعد، أنهى جزء من دراسته فيها، ثم انتقل لقطرٍ آخر (السعودية) تعلّم وعمل فيها، ثم ما لبث أن عاد لينهي دراسته الأكاديمية في مجال التاريخ في صنعاء مجدداً، انتقل إلى مصر في عديد من مراحل حياته، و كيف لأم الدنيا أن لا تكون أماً للغربي، أتم (محمد) دراسة التاريخ، والذي أحبه حتى بلغ حبه له بأن كتب تاريخياً جديداً من مخيلته مزج فيه بين الواقعين، (الواقع الذي كُتب، والواقع ربما كان ولم يُكتب) وفتح باباً واسعاً له أدبياً، بل رتج لقصرٍ مهيب، نُسج من خياله كما يتوقع مستنداً إلى خيوطٍ رقيقة من بقايا ذلك التأريخ.

وعن حياةٍ أخرى في حيواته، وهي حياته المهنية فقد انتخب رئيسًا للمجلس المحلي في مديريته عنس محافظة ذمار، ثم عضو في مجلس النواب. عين مستشارا لأمين العاصمة في عام 2010، وعين وكيلًا لأمانة العاصمة في عام 2015، ويبدو أن عمله وأدبه كأنما ساكنين في لغة عربية، لم يلتقيا، وقد أُزيح أحدهم بتفوق الآخر.

الغربي والأدب:

أصبح ذلك الطفل رجلاً يكتب، بعد أن تشرب الكثير من الكتب وكبر عليها، والكتب هي العالم الآخر الذي أنجب (الغربي) بهيئةٍ أخرى. فجعل له بصمة لا تُمحى في كتاباته، بل ورواياته أنجح الروايات التاريخية اليمنية. بداية الغربي كانت بالقصص القصيرة حيث وله عدة مجاميع قصصية قصيرة:

- الشراشف" (قصة)، دمشق: اتحاد الأدباء العرب، 1997.
- الظل العاري" (قصة)، صنعاء: الهيئة العامة للكتاب، 1998.
- حريم أعزكم الله" (قصة)، القاهرة: مركز الحضارة العربية، 2001.
- ختان بلقيس" (قصة)، صنعاء: نادي القصة، 2002.
- منارة سوداء" (قصة)، صنعاء: اتحاد الأدباء والكتاب اليمنيين، 2004.

الولادة الأدبية للغربي:

الخطوط الحمراء بدأت بمصحف أحمر، ولم تنتهي...

إن اعتماد المؤلف على الخيال هو الصانع لكتاباته، تلك هي الأداة التي استخدمها الغربي في نسخ رواياته "الخيااال" وأي خيال؟ خيالٌ تاريخي، فالغربي يؤمن بأنّ الروائي لا يبحث عن حقيقة ليكتب رواية، بل يتوق إلى الصدق الفني، بينما يبحث المؤرخ عن حقيقة إن كان متجرداً من الأهواء والانتماءات، والغربي يصدح دائماً برأيه، بأنّه لا يكتب الرواية التاريخية التي يتقيد فيها الكاتب بصحيح الحوادث التي دوّنها كَتَبة المنتصر، بل يبحث بين السطور وخلف الوقائع، ويبتكر شخصيات فلاحية وعسكرية تحكي مصائرها، ولا يجعل من السلطوي شخصية محورية، فالتاريخ عنده أداة للتحليق بالخيال والإتيان بشخصيات وحوادث لم تكن إلا في الرواية. وهذا ما جسده في مصحف أحمر وما تلاه.

المصحف الأحمر عن قرب:

أصدرت رواية "مصحف أحمر" عام 2010، وما ميّز هذه الرواية وجعلها تخلق (محمد الأديب) هو تشبعها بالثالوث المحرم والمرغوب والمثير في آنٍ واحد.

ما تصدح به الرواية عبر تغليفات السرد والرمزية والخيال هو شيء واحد وهو الدعوة للتسامح وأن الدين واحد لأنّ الله واحد، وتلك الكتب السماوية المنزلة هي دعوة لهذا الشيء، فلماذا الصراع؟

ومن المنظور السياسي للرواية،

فقد جاءت الرمزية لتحتضن الشخص وبعض الأحداث، بينما كُتب التاريخ بأرقامه الحقيقية للدلالة على وجود أثر حقيقي أنتج هذا الحدث الأدبي المتمرد، وكما بدأ الغربي هنا بإظهار المرأة بلباس القوة والمؤثر الفعلي في المجتمع، فقد أكمل مسيرته الروائية بنفس القوة للمرأة كسلسلة مترابطة لرباطًا متين.

شخصيات الرواية: (تبعة، شخنما، العطوي، سمبرية...)

هذا يجعلنا نتجه صوب أسماء أبطال الغربي ومن أين يستوحي تلك الأسماء حيث يقول: " أنا أشقى في اختيار أسماء شخصياتي بما يناسب العصر وتكوين الشخصية، ولذلك يجد القارئ أن أسماء الشخصيات في روايتي غريبة، لكنه سريعا ما يتقبلها ويألفها مع إبحاره في عوالم الرواية. ومعظم من قرأ روايتي يذهب للبحث عن معني ومدلولات الأسماء تلك وقد يجد ما لم أقصده، وإن أضافت للقارئ أبعاد أخرى." نهاية الرواية فُتحت لولوج عوالم غربية أدبية أخرى.

رواية مصحف أحمر للغربي عمران، من اصدارت الكوكب.

رحلة على متون الزمن.

زيد الفقيه
وكيل الهيئة العامة للكتاب.

منذ عام 1990م كانت معرفتي بالزميل محمد علي عتيق عمران المشهور بـ محمد الغربي عمران، ولمعرفتي به حكاية غريبة، كنت أدرس بقسم اللغة العربية والغربي يدرس بقسم التاريخ، وكنا نلتقي بالمكتبة ونجلس على طاولة واحدة وجهاً لوجه كل يوم تقريباً، لكننا لا نعرف بعض، وذات يومٍ نشرت لي قصة قصيرة في صحيفة الثورة وهو جالس أمامي ككل يوم وكان يجلس إلى جواري زميل وزميلة من نفس قسمي اللغة العربية فقلت لهما أنظرا نُشرتْ لي اليوم قصة قصيرة في صحيفة الثورة، فبادرني الغربي أنت زيد الفقيه؟ قلت نعم فقام من مكانه وسلَّم عليَّ بحرارة وقال: أنا أتابع كتاباتك الجميلة دائماً ونجلس أمام بعض ولا نعرف بعض، يلَّه ننزل نشرب شاي أثنا نزولنا في درج المكتبة وجدنا محمد سعيد سيف وكان الغربي لا يعرفه فقلت لمحمد سعيد يلَّه نشرب شاي سوياً، وأخذناه معنا. أثناء شرب الشاي سأل الغربي هل ثمَّة كيان يتبنَّى كتاب القصة فقلت له: لا.

-وعلى طاولت مقهى كلية الآداب انبثقت فكرة كيان يتبنى كتاب السرد بشكل عام والقصة والرواية بشكل خاص- لكن لماذا؟ قال معي قصص وأريد أن أنشرها، فقلت له: (سهل غداً أجيب القصص وسأذهب أنا وأنت لصحيفة الثورة للأخ محمد القعود، وننشر لك فيها)، في اليوم التالي: ذهبنا للثورة وقابلنا محمد القعود ووضعنا له عدداً من قصص الغربي في الأسبوع التالي نُشر للغربي قصة في صحيفة الثورة، وظل هاجس كيان القصة عالقاً في أذهاننا. تخرجنا من الجامعة ونحن على تواصل دائم فيما يخص هذا الموضوع، وفي عام 1997م تعينت أنا مديراً عاماً لدار الكتب وكان الغربي قد فاز بانتخابه لعضوية مجلس النواب، لكننا لم نتخلَّ عن فكرة إيجاد كيان للسرد ومن ثم طرح الفكرة والترويج لها بين صفوف كتاب وكاتبات القصة مثل الأساتذة: وجدي الأهدل، أفراح الصديق، أروى عبده عثمان، نادية الكوكباني، عبد الكريم المقالح، نورة زيلع، ريا أحمد، علوان الجيلاني، محمد القعود، وغيرهم.

وفي أول دعوة لاجتماع رسمي لكتاب القصة كان حضور الأخوة:

1- الغربي عمران

2 ـ زيد صالح الفقيه

3 ـ وجدي محمد الأهدل

4 ـ أحمد مرزوق زين

5 ـ أفراح الصديق

6 ـ أروى عبده عثمان

7 ـ عبد الكريم المقالح

8 ـ نبيلة الكبسي

9ـ علوان مهدي الجيلاني

10ـ ريا احمد حنظل

11ـ سعيد الحمادي

وقد عقد الأخوة أول اجتماع لهم في دار الكتب لبحث إمكانية تكوين رابطة، أو نادي، أو جمعية للقصة، وبعد نقاشات مستفيضة استقر الرأي عند تأسيس نادي لكتاب القصة يسمى: (نادي القصة إل مقه)، وبعد صدور رواية قوارب جبلية لوجدي الأهدل انقسم أعضاء النادي إلى قسمين القسم الأول صفَّ مع عبدالوهاب الروحاني وزير الثقافة، والثاني صفَّ مع الأخ وجدي الأهدل وكنت أنا والغربي وصالح البيضاني من المتهمين في طباعة الرواية وقد استدعينا إلى نيابة الصحافة والمطبوعات وتم التحقيق معنا، وتوقفت أعمال النادي على إثر ذلك لمدة ثلاث سنوات وكان رصيد النادي في البنك (مئة وسبعون ألف ريال) كنت أوقع على الشيكات أنا والغربي ووجدي، وكانت دفاتر المذكرات الرسمية وختم نادي القصة معي،

وكان بإمكاني أنا ووجدي عمل رسالة لبنك سبأ بالاكتفاء بتوقيعين تحت أي مبرر وصرف المبلغ، لكن المبلغ ظل في رصيد النادي حتى أعيد عمل النادي بعد أن انتهت زوبعة (قوارب جبلية) وفي أول اجتماع بالغربي لإعادة تفعيل عمل النادي، أخبرته بأن رصيد النادي مبلغ مئة وسبعون ألف ريال والمبلغ موجود في البنك، وكان الغربي لا يعلم بذلك، ففوجئ وأكبر فينا تلك الأمانة وسُرَّ لأننا كنا بحاجة إلى مبالغ لبدء عمل النادي، لكن علاقتي بالغربي لم تكن فقط علاقة عمل ونادي للقصة بل لقد تعمَّقت علاقتي به حتى أصبح أخاً لم تلده أمي، وقد دعاني لزيارة قريته (الحصين) في عنس وقضيت معه في القرية بضعة أيام كانت من أجمل أيام العُمر، كنت أستشيره في أشياء كثيرة وكان نعم المستشار، وتعرفت على أسرته، وهو كذلك تعرف على أسرتي، وفي إحدى المرات كنت أنا وعبدالله عباس الإرياني في فعالية ثقافية أقامها نادي القصة في ذمار للروائي عبدالله عباس وقد تلقينا عدة دعوات للغداء من أكثر من صديق نعرفهم في ذمار ومن ضمنهم الغربي، استشارني عبدالله عباس دعوة من نلبي للغداء فقلت له دعوة الغربي وبالفعل عمل غداءً رائعاً وتغدينا مع بقية من دعونا عنده، وماتزال علاقتي بالغربي علاقة أخوة لا تؤثر عليها نوائب الدهر ولا عواصف المصالح.

شهادةٌ في حقّ أخٍ وصديقٍ مبدع: الغربي عمران.

عبير العطار
روائية.

إن أشد الكتابات صعوبة هي كتابة الشهادة في حق زميل أو صديق أو مبدع، فما بالكم باخي الغالي الذي ولدته لي الأيام ليكون نعم الأخ في الحياة والعون المعنوي.

على المستوى الإنساني تعرفت إلى محمد الغربي عمران عام 2013 ومنذ ذلك الوقت لم أسمع منه إلا كل طيب ولم أر منه إلا كل خير؛ لم يصادفني قط من يعامل المرأة ككائن رقيق حساس، واجبٌ عليه أن يحترمه بكل هذا القدر إلا الغربي عمران. لم أشعر منه بتمييز ولم ينطق قط بكلمة جارحة أو تحتمل التأويل، شخصية تبدو لك جادة جدا لكنه مرح ويستطيع أن يرسم ابتسامة على شفتيك دون أي مجهود.

الغربي عمران إنسان مخلص جدا لوطنه اليمن، وكقارئة أو متابعة لأعمال أدبية متنوعة من عدة بلدان، لم التق كاتبا مخلصا لوطنه يظهر الجمال المخفي لليمن في ثنايا السطور مهما أظهر من خلافات أو بشاعة لبعض شخصياته قدره. يحافظ بكل ما امتلك من أدوات إبداعية على مهارة التصوير الاحترافي لكل شبر في بلده،

عبير العطار

• شاعرة وقاصة وروائية وناقدة.

• الإصدارات :

1- لحظات فارقة- صدر من مطابع الأهرام التجارية 2013 - مصر

2- الحب إنسان - صدر من مطابع الأهرام التجارية 2014- مصر

3- ديوان رهان مرآتي- نصوص نثرية - صدر من مطابع الأهرام التجارية 2015- مصر

4- تجاعيد زمن - قصص قصيرة جدا – صدر عن دار يسطرون 2016- مصر

5- ديوان "سِلفي" مع الروح – نصوص نثرية - صدر عن دار الشعلة 2017- مصر

6- رواية بانسيه – صدرت عن دار يسطرون 2018

7- وحدك في الصورة تكفي – ومضات صدرت عن دار يسطرون 2018

8- كتاب القصص العربية القصيرة جدا في مختبر السرديات (عمل جماعي) الصادرة من المجموعة الالكترونية القصص العربية القصيرة جدا في مختبر السرديات- صدر عن دار رهف 2013القاهرة

9- حين يتنفس الخيال – نصوص نثرية- صدر عن دار النابغة 2019

10- ديوان "سِلفي" مع الروح طبعة ثالثة – نصوص نثرية - صدر عن دار المفكر العربي للنشر والتوزيع 2021- مصر

11- ديوان "ويحسبه الظمآن شعرا" – نصوص نثرية –صادر عن دار المفكر العربي للنشر والتوزيع 2021

12- رواية غواية روح – صادرة عن دار المفكر العربي للنشر والتوزيع 2022

13- كتاب عصف الكاف صادر عن دار المفكر العربي للنشر والتوزيع 2023

14-رواية لازورد الصادرة عن دار مشكاة للطبع والنشر والتوزيع 2024

15- عروس السراديب - رواية تحت الطبع.

يسعد معه القاريء خاصة أن اليمن فيها الكثير من المناطق الجبلية، والمناظر الساحرة التى عرفتها من خلاله فتضاريسها تتشكل بين يديه برؤية فنان ... هو ساحر للكلمات.

وعلى المستوى الإبداعي تعجز الكلمات عن وصف أعماله في تشريح المجتمع تشريحا دقيقا، كلما أصدر رواية أكون حريصة على اقتنائها، فهو مدرسة قائمة بذاتها في طريقة عرض الرواية وطرحها بهذا الفن الإبداعي. له طريقة مميزة في صناعة الحدث وترتيب الرواية واستعراض الشخوص، تعلمت منه كيف أصنع الشخوص وكيف يكون التشويق في الرواية، بل إنه في كثير من الأحيان يسمح لأصدقائه المقربين في مراجعة عمله. تعلمت أن الحكاية الحقيقية تكمن بين السطور لا في ظاهرها، وعلى القاريء الجيد أن يبدأ معه رحلة البحث عن كنوزها.

على المستوى الثقافي أجد مبدعنا الغالي الغربي عمران يستحق تكريما من نوع خاص سواء داخل عالمنا العربي أو العالم بشكله الأوسع، فهو ليس أنانيا بل يمنح وقته لكل من يحاولون الكتابة، يستطيع أن يستشف قدرة الكاتب أو مهارته من طريقة حكيه وأسلوبه، قادر على اكتشاف مواهب جديدة في عالمنا العربي،

لايوجد كتاب أهدي للغربي لم يقرأه فهو نهم جدا للقراءة ويعلملك كيف تستطيع تقسيم وقتك وكيف تثمن هذا الوقت كي لا يُهدر.

إنه برأيي سفير للإنسانية والثقافة والعمل العام، لا أعتقد بوجود من يضاهيه في عالمنا العربي خاصة بعد غياب صديقه الصدوق الأديب المرحوم محمد جبريل، فتضحيته بوقته من أجل أن يقرأ للغير ويتابع تطور هذا الغير ويسعى جاهدا ليطمئن على المنجز الإبداعي، شيء لا يصدق وكأن وقته مقسم لثلاث أجزاء جزء للقراءة وجزء للكتابة وجزء لاكتشاف الإبداع البشري أينما كان؛ له طريقة في الاهتمام بالعمل الإبداعي ولا يدخر من وقته من أجل تقديم النصائح، حتى تفصيلة النصيحة تأتي بصيغة سؤال دون تدخل مباشر أو توجيه مباشر، فهو يحرص بشدة على مراعاة مشاعر الغير ويقدر جهوده التى يبذلها في سبيل أن يخرج العمل للنور.

إذن إخلاصه النابع من حسن التربية يشمل الجميع، لا يختص أحدا عن الآخر، ولا يبخس الناس أشياءهم، فإذا صادف عملاً لا يبهره لا يتحدث حفاظا على علاقته بالآخر.

الغربي عمران مشهد ثقافي متكامل وهو يرفض دوماً الحديث عنه بالمديح ويرغب دوماً من الناس رجمه بالنقد، سعدت أن تمكنت من كتابة هذه الكلمات المتواضعة في حق عظيم مثله.

محمد الغربي أكثر من روائي.

د. نادية الكوكباني
روائية، وأستاذة العمارة المشارك لدى جامعة صنعاء.

ليس أصعب من الحفاظ على العلاقات الإنسانية إلا الكتابة عنها. حيرة تجد نفسك في خضمها لاختيار صفة مميزة لم يكتب عنها أحد، ولأن صديقي محمد الغربي كتاب مفتوح، قررت اختيار صفحة انشغاله بالمشهد الثقافي العام، وخاصة في زمن الحرب، لأنه يعني لي الكثير.

هادن محمد الغربي كرئيس لنادي القصة من يقول: "مش وقت الثقافة، إحنا في حرب"، وتسامى عن من يقول: "تشتي تفعل نفسك بطل ثقافي"، وتجاوز كل الصعوبات بحكمته وتصالحه مع قيمه، وظل نادي القصة المؤسسة الثقافية المدنية الوحيدة التي فتحت أبوابها للجميع، وأصبح النادي رئة الثقافة اليمنية في زمن الحرب، رئة زفيرها بوح بالوجع والألم، وفي ذات الوقت شهيقها سعادة وأمل للجميع. ولهذا أصبح نادي القصة علامة فارقة في مدينة صنعاء التي شهدت أقسى ظروف الحرب.

ولأن الصديق محمد الغربي أكثر من روائي، اتجه إلى بناء مؤسسي مدني في نادي القصة "إل مقه"، وأصبحت إدارته مميزة بأفكارها وفعالياتها ورؤيتها للثقافة، وأصبح الشباب هم الذخيرة الحقيقية التي استطاع الغربي أن يرعاها بحب، سواء في إنتاجهم الأدبي أو الإداري للنادي، لتتجلى أعمالهم وتتصدر المشهد الثقافي بامتياز، في ظاهرة عجزت عنها مدن كثيرة لا تعاني من آهات صنعاء وجهادها نحو الحياة.

أشكرك يا صديقي، فأنا أدرك تمامًا عظمة ما تفعله، وسنسير معك دائمًا.

د.م. نادية الكوكباني

- "سوق علي محسن" رواية. دار الهلال، جمهورية مصر العربية 2016. والطبعة الثانية عن دار الحوار، سوريا، اللاذقية، 2020
- "صنعائي" رواية، دار عبادي للدراسات والنشر، صنعاء 2013 ط1، الطبعة الثانية عن دار الحوار، اللاذقية، 2015.
- "عقيلات" رواية، دار عبادي للنشر، صنعاء 2009، والطبعة الثانية عن دار الحوار، اللاذقية (2011) والطبعة الثالثة عن دار عبادي لدراسات والنشر ((2012)
- المجموعة القصصية الخامسة "عادة ليست سرية"، دار عبادي للدراسات والنشر 2012
- "حب ليس إلا" رواية، دار ميريت للطباعة والنشر، القاهرة، 2006، والطبعة الثانية عن دار الحوار، اللاذقية (2010) والطبعة الثالثة عن دار عبادي للدراسات والنشر (2012)
- "تقشر غيم" مجموعة قصصية، اتحاد الأدباء والكتاب اليمنيين، 2004.
- "نصف أنف.. شفة واحدة" تضم الثلاث المجاميع القصصية السابقة، مع القراءات النقدية عنها، وزارة الثقافة والسياحة، صنعاء عاصمة للثقافة العربية، 2004.
- "دحرجات" مجموعة قصصية، مؤسسة لقى، صنعاء، 2002.
- "زفرة ياسمين" مجموعة قصصية، الهيئة العامة للكتاب، صنعاء، 2001.
- مجموعة قصصية "الأصفر ليس سبونج بوب"

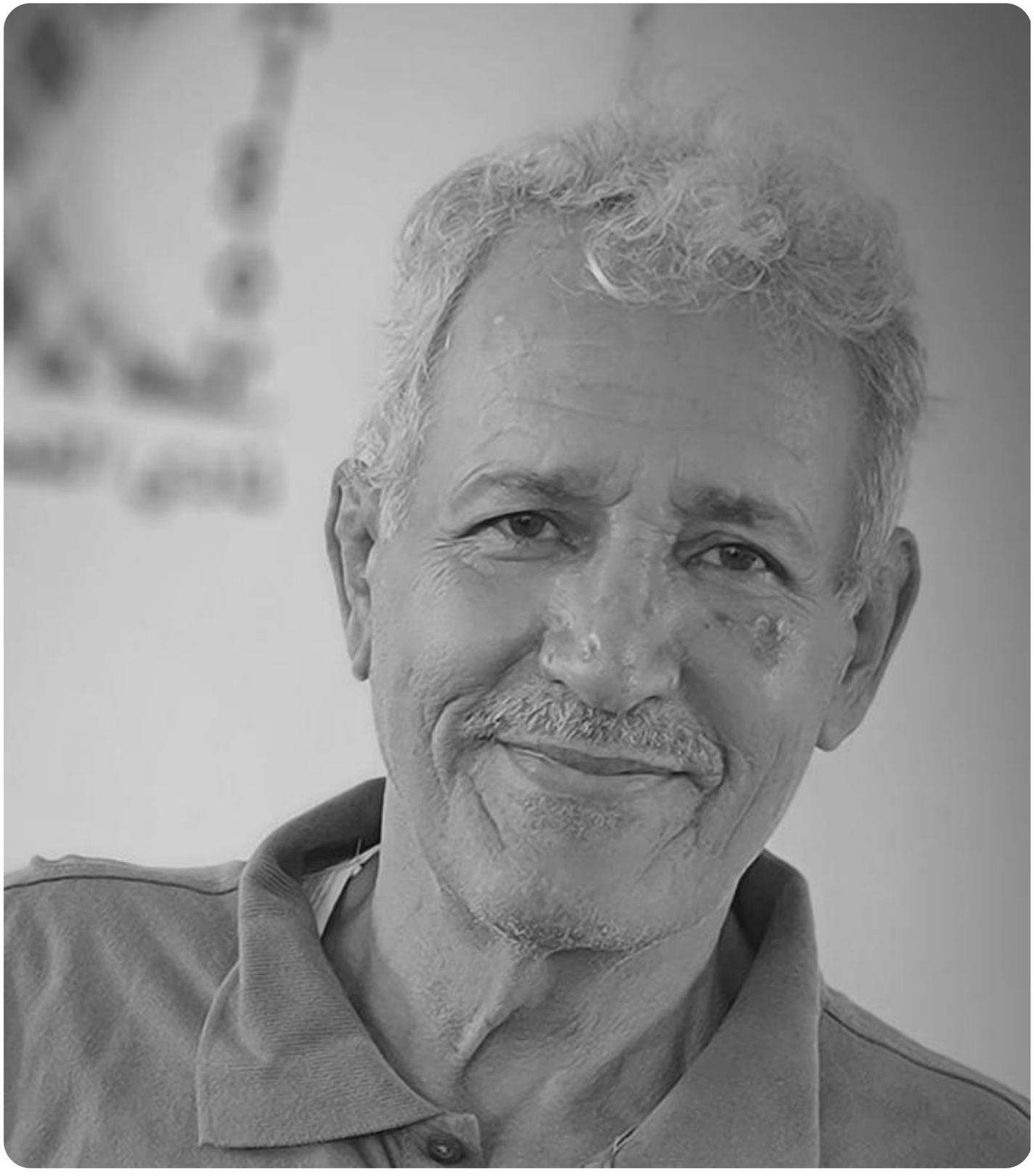

- **الغربي عمران بعدسة: محمد طه.**

خلطة فنية للتاريخ بين الواقعي والمتخيل: دراسة في رواية مملكة الجواري.

د. أحمد السري
روائي، وأستاذ التاريخ الإسلامي وحضارته لدى جامعة صنعاء.

تدور أحداث الرواية في مسرح تاريخي يقع بين نهاية القرن الخامس الهجري ومنتصف السادس. يتخذ من اليمن في زمن الدولة الصليحية إطارا جغرافيا، وإن وقع التركيز أكثر على كل من صنعاء وذي جبلة. ومع أن عنوان الرواية وتفاصيلها قد تغري بتصورها سجلا تاريخيا في قالب روائي، إلا أنها تبقى رواية تنتمي لعالم الأدب وخيالاته البديعة المثيرة، وقد مزجت بين واقعية التاريخ وخيال الأدب فجاءت متداخلة لا يقدر على الفرز فيها إلا مؤرخ متخصص يسبر أغوار الكلام ويجول في قاعات القصور ودهاليزها وغرفها الغامضة والمكشوفة.

نجح الروائي عمران في بناء حبكة للرواية مثيرة، أساسها مألوف في عالم الروايات وهي قصة حب تدور بين شاب اسمه جوذر يعمل ناسخا في سوق الوراقين وشابة اسمها شوذب. تجري أحداث القصة بينهما أول الأمر في صنعاء زمن حكم الصليحي علي بن محمد. يفهم من بدايات الحب أن أصولا غامضة للشابين قائمة، ويعلم أن الفتى جوذر كان له معلم يمتلك حانوتا لبيع المخطوطات، وهو من علمه الشغف بالكتب وبالنسخ والنقش فاشتهر بهما وصارت صنعته..

وفي ظروف غامضة تتم سرقة الحانوت بمافيه وتختفي شوذب من حياته ويظل معلقا بها باحثا عنها راجيا بعمق أن يلتقيها ثانية، ويصير حبه هذا إلى جانب وظيفته ناسخا ونقاشا مدار حياته كلها..

وتتصاعد الحبكة حين يتم نقله إلى ذي جبلة عنوة ليعمل هناك ناسخا لكتب السيدة زوجة الملك المكرم الصليحي، ويبدأ الشك يؤرقه والأمل يراوده بأن حبيبته شوذب بين جواري سيدة الملكة المسيطرة وصاحبة الأمر والنهي.

يمنح غرفة في قصر ذي جبلة، ثم يبدأ بالنقش على جدارها صورة لحبيبته الغائبة، ويتفنن في رسمها ويتعهدها بالتحسين والتزويق، فينادمها ويناجيها في خلواته وأوقات فراغه. وحين بدأت الرسائل تصل إليه كي ينسخها لترسل إلى الملوك والأمراء وخلفاء الفاطميين في القاهرة، يكتشف بينها لفافة خاصة تخاطبه ببعض الود وببعض الإشارات الغرامية،

فيعتقد أنها شوذب حبيبته هي من تكتب له وأنها بين جواري سيدة بل إنها تلك التي لمحها ترمقه بنظرات خاصة حين مثل في حضرة الملكة سيدة لترحب به وتسمعه واجباته وهي ترفع يدها البيضاء فقط معطية ظهرها له فيما كانت تجلس على كرسي بحضور خاصة جواريها.

وفيما هو يزداد يقينا بأنها هي التي تراسله خفية، وتكشف له وقائع غريبة وتفسر له أحداثا غامضة، تؤكد له أنها ليست التي يظن، وأنها أخرى تعشقه وتتوق للقائه وإن استحال بحكم شروط العمل مع سيدة حاكمة (جزيرة اليمن) من خلال تلك المراسلات وغيرها من اللقاءات والمقابلات يصور الروائي حياة قصر ذي جبلة والأسرار المذهلة لمملكة تديرها النساء، وهن الجواري اللاتي كن في خدمة الملكة أسماء زوجة الصليحي المؤسس ثم في خدمة سيدة، ثم في خدمة أروى. ثلاث شخصيات نسائية أساسية تدور حولهن ومعهن أحداث الرواية بكل غرائبيتها وما وشحت به من أحداث تاريخية واقعية مشهورة في مسار تاريخ الدولة الصليحية.

لكن الشخصيات النسائية الثلاث ليست اللاتي عرفن في كتب التاريخ المعتمدة، إنهن شخصيات أخرى تتجاوز حكاياتهن ما كتب عنهن، بل إن تلك التي عرفت باسم أروى ليست السيدة أروى ، بل شخصية ثالثة حازت على لقب أروى (الأفعى الملساء)، وانها حكمت باسم سيدة بعد وفاة الأخيرة ودفنها وعدم إعلان موتها،

رواية مملكة الجواري للغربي عمران، إصدار نوفل، دار هاشيت أنطوان.

لتواصل جاريتها الأثيرةالحكم باسمها، وتصور أنها عرفت بأسماء كثيرة ولعبت أدوارا مهمة، من بينها زوجة لسبأ الصليحي الطامح بحكم اليمن بعد موت المكرم بوصفها سيدة أرملة المكرم، بعد أن ألح خليفة الفاطميين عليها لتتزوجه، فتم تدبير الأمر لتزف إليه الجارية على أنها سيدة وعرفت بعد ذلك بالعروس.

وفي مسار الرواية تتضح أدوار الجواري وطرق الحكم التي تم تطويرها في إطار الدعوة الاسماعيلية حفاظا على المذهب، ولكن أيضا كيف يمكن لامرأة ان تحكم وتكون ناجحة ومنتصرة باستعمال حيل النساء المتنوعة وباستعمال ما يهزم الرجال دائما وأبدا، وهو المال والخمرة والنساء. وتظهر الرواية أن هذه تعاليم السيدة أسماء زوجة الصليحي،وقد مارستها على زوجها وابنها ثم مارستها سيدة على زوجها المكرم وولديها، لتبقى هي الآمرة الناهية.

وفي الرواية تصور الجواري بأنهن الأدوات الحاسمة في حبك المؤامرات وتنفيذها لإبعاد أي خطر قد يظهر على مركز الحكم ذي جبلة لاسيما من أمراء القلاع والحصون وحكام الجهات المختلفة ومن كل طامح قويت شوكته وخشي منه..

من خلال تفاصيل مدهشة وغرائبية عن حياة الجواري وأدوارهن وتقلبات أيام الناسخ العاشق جوذر الذي تقلبت اسماؤه هو الآخر ضمن نظام قصر الحكم في ذي جبلة، يتم رسم صورة لنظام حكم يقوم على استعمال الدين لإخضاع العامة والمماهاة المطلقة بين الله والسلطة.

ومن خلال تفاصيل مدهشة وغرائبية عن حياة الجواري وأدوارهن وتقلبات أيام الناسخ العاشق جوذر الذي تقلبت اسماؤه هو الآخر ضمن نظام قصر الحكم في ذي جبلة، يتم رسم صورة لنظام حكم يقوم على استعمال الدين لإخضاع العامة والمماهاة المطلقة بين الله والسلطة، ويظهر ذلك من خلال الطقوس الدينية التي تقام في القصر ومن حوارات بين الناسخ ونفسه وبينه وبين من عرف من رجال في القصر لم يزد عددهم عن ثلاثة من بينهم القزم اليامي مستشار السيدة وهو الوحيد الذي كانت تجالسه وجها لوجه، لكن أيضا من خلال المراسلات والرقوق التي اطلع عليها الناسخ، لتتضح صورة العلاقة بين الإله والسلطان، بل ظهرت فقرات لنقاشات بعض علماء المذهب ترادف بين الإله والعدم، وأن لا محسوس سوى السلطان، وهو المقصود بالعبادة من قبل العوام وغير ذلك عدم.

هذا على الرغم من استعمال الجواري المدربات على فنون متعة الفراش للإيقاع بالقادة والمعارضين واستعمالهن عيونا عليهم بل وتنفيذ اغتيالات بالسم والذبح.

ومن خلال صندوق مليء بالرقوق أوصت الملكة أروى أن يسلم إلى الناسخ، يتم ملأ الفجوات التاريخية لتكتمل تقنيةالسرد الروائي غير الملتزم بمسار زمني، بل ببعثرته هنا وهناك ليلتئم تارة هنا وتارة هناك حاملا معه مفاجآت مدهشة للقارئ تزيح الستار عمّا رسم من غموض وأدوار ومسميات هنا وهناك، كما تميزت تقنية السرد لغويا باللهاث وسرعة الحركة، واستعمال جمل قصيرة دالة، وأفعال مضارع بكثرة لافتة لجعل الأحداث حاضرة راهنة مُمسرحة أمام عيني القارئ رغم تاريخيتها.

من خلال تلك الرقوق يقف الناسخ في الصفحات الأخيرة على حقيقة أن الملكة أروى هي حبيبته شوذب، وقد وصفت له سيرتها منذ تركته في صنعاء وكيف صارت بين جواري الملكة أسماء ثم سيدة، وأنها هي من أوحت باستقدامه الى ذي جبلة ليكون ناسخ القصر وكيف قاومت يقينه بأنها هي بإنكارها الدائم لذاتها ضمن تعاليم القصر التي تقضي فيما تقضي نسيان الأنثى وغرائزها ضمن قاعدة عامة (المرأة التي تصلح للحكم لا تصلح للفراش)، هذا على الرغم من استعمال الجواري المدربات على فنون متعة الفراش للإيقاع بالقادة والمعارضين واستعمالهن عيونا عليهم بل وتنفيذ اغتيالات بالسم والذبح. وبهذ تكتمل صورة مملكة الجواري، التي أدارتها سيدة وأروى لما يزيد عن نصف قرن، واستطعن استعمال الرجال قادة وامراء، وضرب بعضهم ببعض من خلال الجواري وحيلهن وإخلاصهن لسيدتهن القاسية القلب التي لا تعرف الرحمة بل السلطة ومتعتها وضروراتها الوحشية وإلى جانب تقنية السرد البديع المليء بالغموض الآسر والمفاجآت المدهشة، يقوم الروائي عمران بمغامرة فنية مبتكرة، فيروي في هامش الرواية الأصل حكاية أخرى قصيرة بلا عنوان لا تقل غرابة وإثارة، وتدور أحداثها في صنعاء المعاصرة في سنوات ما سمي بالربيع العربي في اليمن. ومثلما يستعمل الروائي تقنية (الأنا) في سرد رواية مملكة الجواري، ستعمل الأنا أيضا في حكايته المعاصرة، التي لا رابط بين الثنتين إلا من ناحيتين، الأولى أنه كان يعمل في دار المخطوطات ثم وقف على مخطوط فيه حكايات جوذر وشوذب، فأستنسخ لنفسه نسخة من المخطوط هي التي تشكل جسم الرواية الأصل (مملكة الجواري)، والناحية الثانية هي أن حكايات جوذر وشوذب كان يلقيها في خيام المعتصمين المرابطين بالقرب من جامعة صنعاء.

بعض الشخصيات ترد بالتلميح لكن يسهل التعرف عليها. ومن خلال حكاية الهامش يتم رسم صورة لساحة الاعتصام وألوانها وأهدافها ومساراتها التي وصلت الى ما يعرفه الجميع اليوم..

أما باقي حكاية الهامش فتصور ما كان يدور في ساحات الاعتصام وأحداث (ربيع اليمن) معظمها مشهور لكن الكاتب نجح في عرضها روائيا وأسبغ عليها رؤيته وقناعاته. تبدأ حكاية الهامش بوصف أن الراوي كان يعمل في دار المخطوطات حيث وجد حكايات جوذر وشوذب، ثم طرد منها، لتقوده الأحداث ليعمل بائعا للكتب في إحدى البسطات في شارع علي عبده المغني. ومن خلال هذا العمل يكتشف بطل الرواية الرجال النافذين، والشبكات الخفية في صنعاء المعاصرة التي تقف وراء بيع الكتب والاستثمارات المتنوعة ومنها تجارة الكتب والمخطوطات، ويكاد يصرح بأسماء شخصيات معاصرة تقف وراء بيع الكتب والاتجار بالمخطوطات. تتطور حكايته بين السجن والعمل في بيع الكتب، وينتهي به المطاف ثائرا مع الثوار في ساحة الاعتصام المجاورة لجامعة صنعاء. وتتصاعد حكاية الهامش لنقف بعدها على اسماء فعلية ترد للرئيس صالح وللفريق علي محسن الأحمر،

وبعض الشخصيات ترد بالتلميح لكن يسهل التعرف عليها. ومن خلال حكاية الهامش يتم رسم صورة لساحة الاعتصام وألوانها وأهدافها ومساراتها التي وصلت الى ما يعرفه الجميع اليوم.. ولا ينسى في هذا الإطار أن يتحدث عن شخصية نسائية بارزة في ساحة الاعتصام متزوجة ولها أولاد وكيف دخلت في علاقة غرامية عميقة مع بطل حكايات جوذر وشوذب رغم أنه يصغرها بعشر سنين، بعد أن ضمته لحزبها وكيف كانت حلقات القات والرقص للشبان والشابات تعقد في بيت خاص، وتنتهي تلك الحلقات بوجوده وحيدا مع السيدة الناشطة ليواصلا الرقص الخاص معا على طريقتهما فيما تبقى من الليل.

الرواية ممتعة وتستحق القراءة، وهي معروضة بلغة معاصرة قد تجعل حضور نفس الزمن القديم صعبا، لكن ثمة قديم فيها يعوض شيئا من نكهة القديم، فهناك بعض الاصطلاحات والأدعية وافتتاحيات المكاتبات وأسماء الأشخاص، وجغرافية القصر والصناديق الخشبية العتيقة والرقوق.

صورة الشخصية المستلبة في رواية (الثائر) للغربي عمران.

علي أحمد عبده قاسم
ناقد يمني، وعضو الهيئة الاستشارية للتحرير.

تشكل الرواية عالماً خاصاً زاخراً بالرؤى الكاشفة لعالم الواقع وعالم الرواية بصورة الواقع بطريقته الخاصة التي تفوق أحياناً الواقع لجرأة الطرح ومعالجة الفكرة التي تدور حولها الرواية لتقدم نماذج مدهشة ومثيرة بأسلوب فني رفيع المستوى، مما جعل هذا الجنس الأدبي يحوز على قصب السبق في المرحلة المعاصرة من تاريخ الأدب.

وإذا كان الروائي اليمني محمد الغربي عمران، قد قدم للمكتبة الإبداعية سبع من الروايات، كان أولها "مصحف أحمر" والتي طرقت مسكوتات صادمة لم يتطرق إليها البعض، كان أبرزها المسكوتات مناقشة مجالات التخلف المتوارثة في التاريخ اليمني كالقبيلة والشيخ، وثاني تلك الروايات "ظلمة يائيل" التي أخذ منها جانب التهميش والإلغاء حيزاً كبيراً، وآخرها كانت رواية "الثائر" وهي لا تختلف في عالمها عن عالم الروايتين السابقتين، إلا هذه الرواية امتد فيها رؤية الشخصية المهمشة.

ولعلي في هذه القراءة سأدرس هذا الجانب، حيث عكسته الرواية في كثير من أحداثها، ففي شخصية "شيزان" الذي يعتبر بطل الرواية مثل الشخصية المتشردة المعذبة التي فرض عليها التعسف والظلم والتشرد والضياع والتمرد، مما أفضى إلى عدم الشعور بالذات وعدم الاستقرار وحتى امتلاك الحرية. فرّ طفلاً من قريته بعد أن حطم منزلهم وهجّر أمه وإخوانه بوشاية الشيخ، وهنا معاناة الطفل شيزان، حيث يقول: ((... لي أب اقتاده عسكر عامل الإمام في ليلة مظلمة لم يصطحب حماره تلك المرة، وهو الذي يتنقل به عارضاً سلعه من بهارات وملح بين سكان القرى المجاورة لقريتنا، ننتظر وأمه في كل حين، وكنت أواصل سفري كل سبت إلى قرية لأتعلم القرآن عند فقيهها، أعود إلى أمي نهاية كل خميس، كان لي زملاء نذهب ونعود سوياً من قريتنا، لي أخوات، أكبرنا ولد... في آخر يوم عدت إلى قريتنا بدت لنا زاهية تحت شمس الغروب دورها بهية، نتسابق وزملائي للوصول إلى أطرافها، نصعد سفوحها، أمني نفسي بأحضان أمي،

رائحتها، خبزها، صوتها حين تحتضنني يردد "يا قمر قميرة"، فأردد "قميرة"، فتردد "يا سراج الليلة"، فأردد عليها "الليلة"، فتعاود تهزني "طربنا سرب الحمام"، فأكمل أنا "سرب الحمام"، فتواصل "يا قمر صنعاء ويا أحلى قمر يا ضياء القلب يا نور البصر".. كانت الشمس تحتضر حين اقتربت وزملائي من أطراف القرية، صادفنا رعياناً يسوقون أغنامهم، يشيرون إليّ بحذر وهم يتهامسون، لم أهتم بادئ الأمر، تفرقنا أسير معلقاً خباء "قرآني" تكررت نظرات من أصادفهم تحاشيهم إياي أثار في نفسي تساؤلات شققت طريقي متجاهلاً كل من أصادفه،

اقتربت من منزلنا صدمني منظر لم أتخيله قط، وقفت مذهولاً أمام بيت لا يشبه بيتنا يتصاعد دخان تبعثره الرياح، جدرانه مهدمة دون سقوف... أخذتني جارة أمي وعيناها تهتز، انفجرت باكية... قالت لي: إن أبناء الشيخ أخذوا يجمعون سكان القرية يهمسون في مسامع الرجال أن رجالاً يباتون في حضنها زوراً وبهتاناً، وليلة البارحة خرج سكان القرية بفوانيسهم ومعاولهم أمام بيتكم مهددين، سرت شائعة أن الرجال قد خرجوا من عندها والبعض وقف محرضاً، طهروا القرية من الزانية جاءتني قبل التهديم أن هناك من يقرع نوافذها ليلاً)) ص87، 88.

رواية الثائر للغربي عمران، إصدار دار الساقي.

من خلال ما سبق، وحتى تتضح مأساة الشخصية، يتضح للقارئ مقدار المعاناة التي تتحملها الشخصية "شيزان" منذ نعومة أظافره منذ البراءة، فوالده خرج من البيت ولم يعد وعائلته تُهجر وتُنفى من القرية بعد تهديكم ودق المنزل إلى وطن مجهول ليرتد للقارئ حجم الاستلاب من القوي للضعيف، فهو استلاب للحق بالحياة، استلاب للجمال، من خلال السرد خاصة وإن تعلق الأم بابنها وتعلق الطفل بأمه يعكس صورة للطهر والجمال العميق اللذان تجذرا في الذات الحالمة بالاستقرار.

ولقد تمكن الوصف الروائي من تعميق المأساة والمكابدة في المتلقي والتعاطف الشديد معه من خلال استلاب الحق في الاستقرار والتنعم بالأنس والجمال، لتكون الشخصية المستلبة ا لتي حرمت حق التواصل مع علاقاته الروحية المتمثلة بالأسرة وعلاقته بالمحيط المادي القرية وجمالها، مما سيفضي إلى حالة من الانفصال والتمزق والإحباط ليتواجد الضياع ويتحول من إنسان منطلق سعيد إلى شخصية مشردة، وتحولات الشخصية من حالة الطمأنينة إلى شخصية محبطة تعاني الصراع، مما يعكس أن الشخصية تحولت إلى فريسة للاستلاب والتخلف الاجتماعي والسياسي، فاستلب منها العطف والحنان والاستقرار، ويتضح ذلك من خلال التيه في الأرض في البحث عن العائلة بوجه الطفولة البريء،

فهذه بائعة اللبن والخبز في سوق الملح تنظر إليه بشفقة حيث يقول "قادني جوعي لأجلس حيث أشارت، أخذت أقضم كسرة الخبز بنهم أخذت بكفها تجلس شعري، أين بيتكم؟ كان سؤالها غريبا؟ بالنسبة لي، لاحظت ارتباكي: أين أهلك؟! لم أجد الجواب.. فاضت عيناي وقد أخفيت وجهي قادتني إلى دكان مجاور، قالت لي: هذا خالي "الأسطى"، وهذا دكانه، يمكنك أن تأتي صباح كل يوم لمعاونته" ص98.

مما سبق، يستطيع القارئ أن يلحظ أن الشخصية مسلوبة الانتماء من السكينة والأمن والدفء "أين بيتكم، أين أهلك"؟ وتحولت الشخصية من شخصية منتمية لأصل، أصبحت مشردة هامشية ليتراءى أمامنا مأساة براءة خاضعة للقمع والابتزاز لتشكل الصورة موقفاً فكرياً للزمان المظلم الذي يحكي مأساة الناس في ضوء شخصية "شيزان" المستلبة التي افتقدت معاني الحياة الجميلة، ويعكس السرد ضعف الإنسان في الانتصار لنفسه ومجتمعه لتظل الشخصية باحثةً عن الانتماء والتميز ليتخلص من الحياة المفروضة قسراً، فتحاول أن تتعلم للخروج من المأساة بمساعدة معلم الحلقة الذي التقاه في الجامع ولكن البحث عن الانتماء والجماعة لن يخرجه من الابتزاز والسيطرة.

"هامسني ذات مساء.. سأفتح لك الأبواب، لكن عليك أن تعاهدني بالطاعة التامة"، وقال "أتقسم؟" هززت رأسي بالموافقة... إذاً سأتشفع لك لدى السيف صاحب المعارف ستذهب بهذا القرطاس، ستنتظره أمام باب داره، وإذا ما رأيته خارجاً تقدم قل له: سيدنا يقرؤك السلام، ثم مد له بقرطاسك وقل: يقرؤك سيدنا السلام وبي رغبة لمواصلة دراستي..

" منحل ! ما حاجتك بالدراسة؟ حباً بكتاب الله وسنة رسوله"

نظر إليّ مبتسماً، ثم أخرج قلماً لا أعرف ما خط... قدّر مدرى مستواي بعدة أسئلة وتم قبولي ضمن طلبة المدرسة بالصف الثاني" ص108.

من ذلك، إذا تأملنا السرد، يمكن أن نجد ملامح الاستلاب من خلال "تعاهدني بالطاعة، أتقسم، سأتشفع لك، ما حاجتك بالدراسة"، لتعكس الهيمنة الشاملة على الإنسان وقصور إنسانية الإنسان تجاهه ليعيد النص الروائي ذاكرة مسودة من التاريخ السياسي والاجتماعي الأسود المتجذر في الذاكرة ويرسم علاقة مضطربة ما بين الإنسان والإنسان،

وعلاقة فوقية مستبدة ما بين الحاكم والرعية تتسم باستلاب حتى الفكر والروح والعلم والمقدرات المادية لتكون الشخصية أنموذجاً تراجيدياً لمأساة المستلب كل شيء حتى استلاب القدرات في إعادة الاعتبار للذات واستعادة الحقوق المستلبة لتنعكس أزمة الفرد والمجتمع في تاريخ مسلوب الحقيقة أيضاً لتكون صورة الإنسان والمجتمع مظلمة تتسم بالتيه والضياع وتعكس عصراً يكرس الخطأ والاستلاب.

وإذا كان السجن السياسي رمزاً للعمل السياسي، فإنّ الرواية حاولت أن ترسم الشخصية من خلال المعاناة الإنسانية التي يتلقاها السجين وهو "شيزان" الذي يؤخذ للسجن ليكون مطيعاً للمعلم "سيدنا" ليس إلا، ويتهم أنه مع جماعة في القصر مناوئة لصاحب المعارف "السيف"، يناديه الشاوش عبدالله شاوش السجن "هيا مددوه أمام المدقة"، مددني أرضاً رفعوا ساقي ليضعوها على صخرة ضخمة، وأخذ يهوي بالمطرقة حتى ضاقت الحلقات، عندها رفع الشاوش يده "هيا خذوه إلى النظارة وأحكم إغلاق بابها".

مما سبق، يلحظ المتلقي مقدار الشر الذي يستلب الحرية ويمتهن إنسانية الإنسان، مما يحول كيان الإنسان الروحي إلى قزم متجمد لا قيمة له حتى باستخدام التكبيل ليكون النص مشيراً إلى عنصرية واستلاب مقيت حتى للحرية، مما يصور الشخصية بصورة لكل مستلب الكرامة مصاب بالذلة والهوان وعدم القدرة على الاستنقاذ من صنوف المعاناة،

مما يعكس انهيار القيم الإنسانية التي تتعارض مع رغبات السياسة.

وإذا كان السجن رمزاً للحاكم، فإن ملامح الشخصية "شيزان" التي تعيش في سجن شامل هو الوطن المسجون فإنّ سجن القفر، كان رمزاً للنفي والإقصاء والوحشية بعد أن دس له مدير المدرسة أوراقاً تدينه بالخيانة والتحريض ضد الإمام حين يصف معركة بالسجن بين الحرس والمساجين، يقول الراوي: "تعاونوا على سجني باتجاه النار.. حملوني وأنا أتخيلها تقهر عيني ووجهي تلتهم عظامي مع حديد قيودي وأغلالي، لم أعرف أن ألطاف الله قد أُرسلت، رسم الحبس تلك اللحظة لإنقاذ ما يمكن إنقاذه سريعاً ما تنازع الرسم أطرافي تغلبوا على الرسم ليقذفوا بي في النار، آلام لم أذقها، أخبروني أن النار لم تأتِ عليّ لكن أصبت ببعض الحروق على أطرافي وكتفي والقليل على وجهي" ص207.

من ذلك، من اشتعال النار الدائمة في السجن لينعكس للمتلقي جفاف الإنسانية وحجم الوحشية ليستلب من الشخصية الحق الشخصي بالحرية والوسامة، ويستلب منه الحق الشامل ليتعرض للتعذيب النفسي والبدني والمعاملات المذلة والقاسية المنافية للكرامة الإنسانية، مما يعرض الصحة والحياة في ظل التخلف للموت ليعكس الشهيد تعاطف إنسانية الشخصية، فضلاً عن التجسس والرقابة اللصيقة في السجن المتمثلة بالدويدار ليكون شخصية معزولة خالية من الأهل والمال والاتصال، ليعكس صراعاً مع السياسة وعدم رضا في الذات، فضلاً عن الخيرية التي تمتلكها النفس في البحث عن الحرية خاصة وإن رمزية الفرار من السجن تشير إلى البطولة والحرية والتمرد على الواقع والبحث عن الحلم "كدت أبكي من الفرح وأنا أسحب المزلاج الأعلى، الأسفل لم يحدث صوتاً، ثم المغلقة، كما هي المعجزات أو الأحلام حين لامست جسدي برودة الليل، كتمت صرخة وأنا أرى وميض أحد النجوم كمن يبتسم، خطوت أولى خطواتي خارج الحبس" ص211.

ومما سبق، يلحظ القارئ التحول من اليأس إلى الأمل، ومن الارتهان للعبودية إلى بزوغ الحرية والتحول، من استلاب الحرية إلى انتزاعها بالتضحية والمغامرة .. ولعل السرد الروائي يناقش المتناقضات التي يترتب عليها حيوات جديدة، إما مترعة بالشر أو زاخرة بالخير، فالشر يأتي من استلاب كرامة الإنسان التي يترتب عليها العدل والحرية والمساواة والحقوق الإنسانية، ويأتي بمحاولة تحقيق تلك القيم والمبادئ في الحياة العامة كلها، فمن شخصية "شيزان" يلحظ القارئ فداحة الاستلاب حتى للعاطفة والمشاعر، فقد حرمت الشخصية منذ حداثة سنها حنان الأم وحماية الأب وسكينة البيت،

ومن الصورة السابقة يلحظ أن الحب لم يكن له دوراً في انتشال الشخصية المستلبة في أتون الاستبداد، لأن الحب منعدم أصلاً مما حوّل الحب إلى مأساة مضافة إلى المآسي الإنسانية، ولم يحقق الامتزاج بالحياة والشخصية بوصف القصر هو سجن من نوع آخر لا يتحقق فيه الحب أصلاً.

ولأن الشخصية هامشية أساسية فإنها حاولت استعادة بل انتزاع الحرية والكرامة من خلال الهروب من السجن بوصفه بحثاً عن الحلم خاصة وإن الدويدار كان رمزاً للجاسوسية وللرقابة والخيانة من القصر، مما يحيلك من سجن إلى سجون مظلمة في قبضة الاستبداد "لم أكتشف أنه الدويدار إلا بعد أن فات الأوان وأن تقربه مني مجرد حيلة، فكلامه حول طغيان مولانا الناصر والاستبداد خدعة" ص206.

ومن ذلك فإن الشخصية اتسمت بالخوار والخوف والاغتراب والمعاناة لينتهي ويتلاشى منها الحق في الحياة الكريمة خاصة وأن الكيان المادي والمعنوي للإنسان مستلب وكأن النظام أخذ كل الحقوق الإلهية للإنسان ليظهر نوعاً من التمايز وتلاشي مبدأ الكرامة حتى في إبداء الرأي.

وإذا كان الخطاب الروائي في النص يرغب في انتهاك الواقع إلى اللامتوقع، فإن السرد استخدم الخطاب الهذياني ليعمق الصورة المأساوية للشخصية المستلبة من خلال صور الجن والأرواح الأخرى الخيالية ليتأتى للسرد العمق بهذيان حلمي لا واقعي ليرتسم في المتلقي صورة تشبه الموت والاستلاب لشخصية وتسويف عنف النظام والزمان والمكان على حد سواء، بغية خلق واقع جديد مختلف.. تقول الشخصية "لا توجد له ذرية، ضمني وأمسيت من جماعته من كائنات الريح لأزف دون عينين في اليوم كعروس لكائن الريح وأنت ستزف بعدها أيضاً، ستكون هذه المغازلات عالمك وسعادتك" ص230.

إن هذه الحكايات الهذيانية انتهاك بصور متعددة لتشكل رموزاً للاستبداد والاغتراب والضياع ليتداخل الواقعي بالتخيلي والتاريخي بالأسطوري بغية إظهار فداحة الاستلاب الذي يشبه الضياع والتيه ليعبر السرد عن القوة المنتصرة بعد معاناة من خلال تدفق الصور والحكايات حتى يخلخل الخطاب التاريخي الواقعي إلى الاستغراق في معاناة الشخصية التي استلبت حتى الروح لتكون روحاً غير مستقرة تشبه الريح.

وإذا كان البناء الروائي يبحث عن التوازن في الصراع فقد أورد شخصية وردة لتكون رمز الحب الذي ينتزع الروح من الخوف والاستلاب وتحاول انتشال الشخصية من واقعها،

فكانت شخصية وردة التي خرجت من القصور بفعل إفلاس أبيها بعد أن كلفه الإمام ببناء ميناء فتبددت أمواله ولم يعوض فكانت وردة ضحية للفقر فعملت نادلة في قهوة، فهذه الشخصية تعد من الشخصيات العدمية التي لم تتمكن من ممارسة حياتها كما ينبغي لكنها حاولت أن تعطي الحب للشخصية "شيزان" لانتشاله من الواقع "لا أملك إلا أن أسألك نفس الأسئلة، أن أسمع صوتك ولا أطالبك بشيء لا تمتلكه والأهم عندي أن أراك وأطمئن عليك" ص83.

ولعل معظم الشخصيات جسدت الاستلاب والعدمية في الرواية بقصد تصوير وتجسيد الزمان والمكان الذي يحيط بمرحلة ما من تاريخ اليمن، ومن خلال ذلك يظهر للمتلقي أن مضمونٌ ورسالة الرواية عن مأساة الإنسان الذي فقد كل شيء يمكن أن يشكل حياة بكرامة من ضياع الممتلكات إلى ضياع الأرض والعرض والمشاعر وكل ما يتعلق بحقوقه الإنسانية، ومن خلال الدراسة فإن الكاتب يستحضر مرحلة تاريخية تغيب فيها الإنسان، فقد حاول الكاتب أن يبرز ما يلي:

1- استحضار مرحلة تاريخية من تاريخ اليمن لتجسيد صورة الإنسان المسلوب، باعتبار أن لارواية كتبت بأسلوب السيرة الذاتية لتجسيد فناً من الذاكرة بطريقة حديثة.

2- كانت صورة الشخصية مسلوبة عدمية فاقدة لحقوق الإنسان من ممتلكات وعرض وفكر وعاطفة ومواطنة.

3- حاولت الرواية في السرد أن تبرز تأزم علاقة الأنا بمن حولها ليعكس صورة لتأزم الزمان والمكان.

4- حاول السرد أن يبرز حياة القصور والعلاقة المكبوسة والمتأزمة فيه، ويشير إلى الابتعاد إلى الروح الإنسانية بما يعني البعد عن الشعب.

5- رسمت الرواية واحدية الثورة اليمنية بانتقال الشخصية ما بين المدن اليمنية وأخذت أحداثاً من جهات متعددة من الوطن، ورسمت مشاركة كل اليمنيين في الثورة.

6- استطاع السرد أن يبوح بالمعاناة الإنسانية للشخصية ومن خلاله للمرحلة كلها.

7- كان المكان مشوهاً مرعباً ليعكس دلالة الممارسة الزمنية.

8- اقتصرت القراءة على شخصية "شيزان" وهو بطل الرواية بوصف بقية الشخوص الأخرى مماثلة في المعاناة.

9- جسدت الرواية صورة للمرأة المستلبة العرض والعدمية لكنها استطاعت أن تخلق من الموت حياة بمشاركتها في الثورة.

10- كان أدب الذاكرة مرتكزاً أساسياً في الرواية، وهي نوع من التحديث والتجديد في الكتابة الروائية اليمنية.

11- رسمت الرواية واحدية الثورة اليمنية من خلال أحداث وشخصيات الرواية.

الخطاب السردي الأحدث بين السياسي والأيديولوجي في رواية "بر الدناكل ".

عبدالفتاح اسماعيل
ناقد يمني.

ما يزال هناك من يعتبر الحداثة هرطقة وتلفيقًا وخروجًا عن المألوف، وكأن أشكال الإبداع تسير على خط مستقيم إذا تجاوزته أفسدت معناه ومبناه...

إن السياسة حاضرة في كل الخطابات والفنون والأجناس الأدبية، وتتمظهر بجلاء ووضوح في فن الرواية، التي تعكس نثرية الواقع، والصراع الطبقي والسياسي، والتفاوت الاجتماعي، وتناحر العقائد والإيديولوجيات، والتركيز على الرهان السياسي من خلال نقد الواقع السائد.

سيطر المتخيل التاريخي على الكتابات الروائية لمحمد الغربي عمران في ظلمة يائيل ومصحف أحمر وحصن الزيدي وغيرها من أعماله الروائية، لكننا اليوم نجد الغربي يفاجئنا بمعطيات جادة وتناولات جديدة، بمعالجات سردية ذات محمولات سياسية وأيديولوجية، عبر خطاب سردي يحكي تحولات الواقع اليمني خلال فترات مهمة من تاريخ اليمن، من حرب صيف 1994م، وحروب صعدة الست، إلى فبراير 2011م، مرورًا بعاصفة الحزم وصراع الإرادات بين الشرعية وحكومة صنعاء، التي أفرزت صراعات بينية بين طرفي حكومة صنعاء: صالح وأنصار الله من جهة، وصراعات معقدة ومركبة بين مكونات الشرعية السياسية والعسكرية.

فمن خلال الصورة المأساوية للبطل "شنوق"، قدم الغربي صورة البطل في هذا العمل الروائي بأسلوب مختلف ومغاير؛ "شنوق" شخصية بائسة، يائسة، تائهة، تعرّي كل مُسَعّري الحرب، وتكشف واقعًا محترقًا أقل ما يمكن وصفه بأنه على صفيح ساخن دومًا. "شنوق" اليمني المشنوق بين صنعاء وعدن، بين الوطن واللاوطن، نجح الروائي ليس فقط في وصف سمات شخصيته النفسية والجسدية، بل حمّلها محمولات أيديولوجية وسياسية أيضًا.

بر الدناكل عمل روائي متحرر من سطوة الأسلوب الروائي التقليدي المعتمد على الخطاب الحكائي،

متمرد في الفكرة واللغة والبناء، كسر خط السرد المتعارف عليه، ورفض فكرة الترابط المنطقي للأحداث مع اهتمام واسع بالرمز، مرهون بفنية عرض الحدث السياسي ودرجة انصهاره في بنية النص المتخيل؛ لأن الرواية أولًا وأخيرًا عمل متخيل، وإن أشارت إلى أحداث وقعت بالفعل في صيرورة الزمن.

فالرواية قد نحت منحَيَين: المنحى الأول: تعاملها مع الواقع السياسي بمباشرة ودون موارية، والمنحى الثاني: التخييل السياسي الذي يُعمل تقنية الرمز وتوظيف الأقنعة المستعارة.

تُلقي الرواية أضواء كاشفة على فترات حرجة من تاريخ اليمن الحديث، فزمن الخطاب يمتد ليتناول حرب صيف 94 وحروب صعدة الست، ليمتد إلى حروب المجلسين الرئاسي والسياسي، بينما يتسع زمن الحكي إلى ما قبل نقطة الحاضر السردي، حيث يتضافر السرد عبر تقنية الاسترجاع ليقف عند فترات زمنية مختلفة من حروب المناطق الوسطى وصراعات الرفاق في الجنوب.

السارد، الذي يطل على عالمه الروائي عبر ضمير الأنا، وهو الشخصية البطلة في الرواية (شنوق)، يطلعنا السارد الخارجي على صراعه النفسي المتأزم إثر الشتات، ورغبته الأكيدة في الخروج من دائرة الانهزامية عبر تفعيل تقنية المونولوج والديالوج معًا.

يغوص السرد في تلك الفترات المظلمة التي عاشتها اليمن وما زالت تعيشها: حروب، انقلابات، صراعات. فالتقنيات الحديثة في هذا العمل الروائي تتضافر مع اللغة الفنية؛ لتجعل القارئ يغوص في عوالم شتى من الانفعالات والصور والتفاصيل البالغة الإثارة والجمال.

ويتتبع الروائي الغربي رغبة الشخصيات في الفعل والمقاومة ومعاندة الواقع الذي يدعو للاستسلام، في ظل رصد لموقف الشخصيات من هذا الشتات والضياع؛ فغزال الهاربة من أهلها لم يرحم السرطان جسدها، والبندرية المهاجرة في البعيد دون روح، وسلوى تبكي على الأطلال، ومن حرقة وشدة بكائها بكت الأطلال عليها، وأروى الشابة الفيلسوفة المستنيرة قُتِلَت بكل برود؛ لأنها قالت لنا: "فكِّروا، فالعقل هو الفيصل".

فكل شخصية تبحث عن وطن في العقل، والبعيد، واللجوء. فالحوار يأتي مصاغًا بالفصحى، وعبره يتم شحن الخطاب السردي بشحنات أيديولوجية عبر أصواتٍ تتلاقى حينًا عند مفترق طرق: الموت، والحياة، والحرية، والعبودية، وبين الوطن أو اللاوطن.

ويستشعر السارد في وجوه شخصياته استنكارًا وضيقًا لوطن تبعثرت جغرافيته بين سين وصاد، وتاهت أحلام الجماهير في وسط هذا الجنون المستمر.

ويُلحَظ أن فضاء الرواية فضاء مفتوح ومغلق في الآن ذاته؛ فهو فضاء مفتوح لذكره أماكن عامة كالمدن (صنعاء – عدن – ذمار وغيرها)، ومغلق لذكره أماكن مغلقة كالبيوت والغرف والفنادق التي يمارس فيها الإنسان خصوصيته (منازل صنعاء القديمة – فندق أوسان بعدن، وغيرها).

تنتمي رواية بر الدناكل إلى ما يسمى نقديًا بـ"الرواية السياسية"، ونعني بالرواية السياسية "تلك الرواية التي تنصب على مناقشة الأفكار السياسية، وتحديد تصورات الأحزاب والمذاهب السياسية، وتبيان مواطن اختلافها وتشابهها، ورصد الصراع بين الحاكم والمحكوم، والعامل مع أرباب وسائل الإنتاج، واستجلاء الفكر النقابي والنضال السياسي، وما يتبعها من اعتقال وقمع وقهر وحبس للمعارضين وتصفية جسدية".

فالحدث السياسي في بر الدناكل هو العنصر الفاعل والمحرك لبقية الأحداث، لا مجرد أن يكون حدثًا هامشيًا عارضًا...

(فشنوق) يهرب من صنعاء جنوبًا، تاركًا غزال تواجه كل هذا الجنون، ليصل إلى مسقط رأسه، ليرى زوجته تزرع الأرض مع أخيه، الذي أصبح زوجها بعد أن اعتقدت أنه مات، ويصدمه مقتل ابنه في جبهات الدفع المسبق.

"الوحشة سيّد الموقف، عدن ليست هي، التطرف السلفي يقتل كل مستنير، أجنحة الشرعية تتقاتل على قصر المعاشيق، التحالف يُضعف الجميع ليبقى هو."

ليصل عدن التي، من أول وهلة، يشعر فيها بالغربة المركبة، فبطل الرواية (شنوق) عاث في الزمان والمكان، وعربد في كل الفضاءات المتخيلة، معبرًا عن حالة اليمني اليوم.

فالوحشة سيّد الموقف، عدن ليست هي، التطرف السلفي يقتل كل مستنير، أجنحة الشرعية تتقاتل على قصر المعاشيق، التحالف يُضعف الجميع ليبقى هو.

ونلحظ أن بر الدناكل تتناول الهمّ السياسي بمحمولات أيديولوجية، بشكل مباشر وغير مباشر، عبر مواقف وجدالات طويلة بين أبطالها حول الماضي والحاضر، فمن مقولة ماركس "الدين أفيون الشعوب"، ودخول قوات تحالف صالح والإخوان عدن في صيف 94، إلى حروب صعدة الست، إلى عاصفة الحزم، وصراع أجنحة الشرعية التي استأثر كل جناح بجغرافية ما... كل هذا يطحننا جميعًا، الكل يطحن الكل من أجل الماضي؛ ليقوم كل جناح بقتل الحاضر ونسف المستقبل عمدًا وعدوانًا.

فالشخصية البطلة في هذا العمل الروائي بر الدناكل (شنوق) هي القوة الرئيسة المحركة لتأزيم الخطاب السردي. فكل شيء في الرواية مكرّس لغرض توضيح أبعاد الشخصية وتطورها كحقيقة فاعلة من حقائق الواقع المعاش، التي تحمل بين جنباتها بُعدًا سيكولوجيًا وأيديولوجيًا عميقًا خاصًا بالشخصية البطلة (شنوق) والشخصيات الثانوية (غزال - البندرية – أروى - إلخ)،

وحتى الترقيم العكسي بالأرقام الإنجليزية لأجزاء الرواية لا يمكن أن نفسّره بحسن نية، فالنهاية: ساعة الصفر، الرقم صفر، ساعة الموت... ساعة التيه الكبير، ساعة ذوت (بشنوق) في اللامكان واللاوعي واللاوطن بين شواطئ عدن وبر الدناكل.

غلاف رواية بر الدناكل للغربي عمران من إصدار نوفل، دار هاشيت أنطوان.

> **بر الدناكل نتاج سردي جريء ومتمرد على القوالب الجاهزة، يؤسس لنقطة انطلاق نحو تحديث الخطاب السردي في اليمن.**

وختامًا يمكن أن نخلص إلى الآتي:

1- بر الدناكل نموذج روائي ينتمي إلى أنساق الحداثة في صورتها المتوازنة حينًا والمخاتلة حينًا.

2- تحرر الغربي من الوقوع في فخ التقنية التقليدية وبين التقنية الحديثة، فقد وظّف الغربي تقنيات حديثة، إذا جاز لنا التعبير، في أعماله الروائية مثل الفلاش باك، والحلم، والرمز، والمتخيل التاريخي، وتعدد الأصوات السردية.

3- في هذا العمل وغيره من أعمال الغربي الروائية، يفاجئك بتقنيته المبتكرة، وتعدد أصواته، وبُعده الوجودي، كما يتجلى في نمط جديد من التعبير، وفي طريقة مغايرة في التعامل مع الذات: تعرية لطبقات المسكوت عنه، أو تفكيكًا لشيفرات الدلالة ومرجعيات المعنى، وهذا أبهى صور الكتابة السردية الحديثة في اليمن.

4- بر الدناكل نتاج سردي جريء ومتمرد على القوالب الجاهزة، يؤسس لنقطة انطلاق نحو تحديث الخطاب السردي في اليمن.

هـوامـش:

1. د. عبدالعزيز المقالح - مقاربات أولية في الرواية اليمنية - مجلة غيمان - العدد الرابع - خريف 2008م
2. مفهوم الرواية السياسية والتخييل السياسي، جميل حمداوي، مجلة الكلمة - العدد الرابع - أبريل 2007م
3. الخطاب السياسي في رواية فوق الأحزان للروائي المصري حسن البنداري - د. سهام أبو العمرين - 2019م

- **من أعمال الفنان: سعد الشهابي، محرر المحتوى المرئي لدى المجلة.**

بين يدي البحر.

مياسة النخلاني

روائية حاصلة على جائزة السرد اليمني حزاوي عن دورتها الأولى 2022.

في ليلة حالكة يتخللها ضوء قمر غير مكتمل، أبحر مركب يحمل على متنه عشرات الأرواح التي سكنت بين جنباتها حيوات وآمال شتى. وتحت وطأة الزحام الخانق تململ المهاجرون، وقد تقاذفتهم مخاوفهم وأمواج البحر الذي بدأ غضبه يتصاعد من عمقه المظلم إلى سطحه البارد والمعتم.

ومع كل دفعة غضب يصدرها عمق البحر، تتلقاها الأمواج التي ترتد على المركب الصغير فتعبث بتماسكه وقدرته على الصمود، وكأن الموج قرر أن يختبر مدى تمسك أولئك الهاربين من جحيم الحرب بالحياة التي يحلمون بها في أرض المهجر البعيد عن أوطانهم.

أخذ المركب يميل تحت وطأة حمله الثقيل وجنون الأمواج الغاضبة، وأمام شعورهم بالخطر بدأت الوجوه المرهقة تتطلع حولها بوجل، بعد أن تسللت إليها مشاعر امتزج فيها الخوف بالرغبة اليائسة بالنجاة. وباتفاق غير معلن، ركز الجميع أنظارهم على العتمة الممتدة أمامهم والتي بدت بلا ملامح أو نهاية.

"تمسكوا جيدًا!" صاح قائد المركب بصوت عالٍ ومرتعش. لم يكن قلقه منصبًا على الأرواح التي حملها في قاربه في رحلة مجهولة ومحفوفة بالمخاطر، وإنما على المقابل المادي الذي سيفقده مع كل روح تسقط في البحر.

وسط كل تلك الأجساد التي حشرت نفسها في المركب طواعية، جلس مروان في الركن القصي وهو يضم ركبتيه إلى صدره، وينظر إلى الأمواج المتعالية بكل ما تبقى في قلبه من أمل. لم تكن هذه مجرد رحلة بالنسبة له، ولم يكن البحر مجرد مسار، بل بوابة بين ماضٍ فرّ منه ومستقبل لم يعد متأكدًا إن كان قادرًا على الوصول إليه بسلام.

منذ أكثر من خمسة أشهر غادر مروان موطنه اليمن بحثًا عن الحياة التي لم يجدها في الأزقة الضيقة، حيث الجوع أعلى من صوت الأحلام، ولا في منزله الذي تشققت جدرانه وكاد سقفه أن ينهار على ساكنيه، قسوة لا يضاهيها إلا قسوة الحرب التي تأبى أن تنتهي. كل شيء هناك كان يدفعه إلى الهرب، لكن أحدًا لم يخبره أن الهروب قد يكون سقوطًا أشد إيلامًا.

ضربت المركب موجة عالية، فتمايل بزوايا حادة أفقدت البعض توازنهم وقذفت الرعب في قلوب البقية. وسط الظلام الحالك بدت الموجة شديدة الضخامة كأنها يد القدر امتدت لتنتشل أحدهم من هذا المركب المتهالك.

وقبل أن يستعيد الركاب توازنهم، ضربتهم موجة أخرى أكثر قوة وقسوة، ارتفعت معها الصرخات المكتومة، وكأن الجميع في تلك اللحظة قد أدركوا أن وجودهم في تلك البقعة المنسية من العالم كان قرارًا خاطئًا وعديم الجدوى.

ومع الموجة الثالثة، فقد مروان توازنه. وقبل أن تصل يده لشيء صلب يتشبث به، اندفع بقوة نحو الظلام، وشعر بجسده يرتطم بقوة على سطح الماء. تخبط بشدة وسط الماء الذي اخترقت برودته عظامه الواهنة، كأنها سكاكين حادة تنهش صلابته وتماسكه، وفي تلك اللحظة بدا له أن صوت الموج أكثر وحشية مما يتخيل، فهو صوت امتزج برائحة الموت الذي فر هاربًا منه.

"تماسك جيدًا!" صرخ به عقله. حاول السباحة لكن قواه خارت بسرعة، فهو لم يأكل منذ أيام إلا القليل، وبكل ما تبقى فيه من قوة تخبط بيأس. فليست هذه النهاية التي يستحقها بعد كل الأهوال التي واجهها ليصل إلى هذا الحد.

لكن البحر تجاهل توسلاته، وظل يجذبه إلى أعماقه المظلمة ببرود وقسوة. وبكل ما تبقى لديه من أمل وقوة، انتزع نفسه من ذلك العمق وصعد إلى سطح الماء، بحث بيأس... وأخيرًا رآه: حبل يتدلى من المركب. مد يده وأمسك به. كان الحبل مبللًا، زلقًا، لكنه تمسك به كأنه آخر ما تبقى له من هذا العالم.

ظل معلقًا هناك، بين الموت والحياة، وكأن الزمن قد توقف ليختبر قدرته على الصمود. أخذ جسده يرتجف، وقلبه يخفق بشدة، والألم يمزق يديه اللتين بدا أن تمسكهما بالحبل أشد إيلامًا من التمسك بنصل سكين حاد. حاول أن يصرخ ويستغيث لكن صوته تلاشى، والأجساد المحشورة في المركب التزمت الصمت، كأن أحدًا لم يره، أو لعلهم تحاشوا النظر إليه وكأنهم يتجنبون النظر إلى مصيرهم المحتوم الذي ينتظرهم.

"ساعدوني!" صرخ أخيرًا بصوت واهن. كانت العيون تحدق فيه بنظرات هي مزيج من الذعر والجمود، لكن لم يمد له أحد يد العون، ربما خوفًا من أن يسقطوا معه أو لأنهم آمنوا بأن البحر قد حسم أمره بالفعل.

بدأ الخدر يتسلل إلى أصابعه، وشعر بالبحر يناديه ويجذبه ببطء إلى أعماقه المظلمة، ثم همس له بصوت بارد: "استسلم، فلا فائدة من المقاومة."

شعر برغبة قوية لإفلات الحبل والتوقف عن المقاومة. وقبل أن يفلت يديه تمامًا، تذكر وجه أمه حين ودعته، دعواتها، بكاءها المرير، تمسكها به، وهمسها في أذنه: "كن قويًا ولا تستلم أبدًا." لكنه الآن يوشك أن يخذل آمالها الكبيرة... ويخذلها.

"سامحيني يا أمي!" تمتم بخفوت، بينما يديه تتركان الحبل. أغمض عينيه، وسمح لجسده بالانزلاق في البحر بهدوء لا يتلاءم مع الضجيج الذي يتعالى في عقله وقلبه. وحين أوشكت العتمة أن تسكت ذلك الضجيج، شعر بيد قوية تمسك به وتسحبه للأعلى. رغم محاولات البحر التمسك به، فإن اليد رفضت أن تتركه، واستمرت بسحبه بعناد وقوة.

مقاومًا رذاذ البحر المالح وشعوره بالوهن، فتح عينيه بصعوبة، فرأى صاحب اليدين القويتين وهو يتدلى من المركب ويحاول التشبث به. كانت ملامحه قاسية لكنها مشبعة بالغضب والرحمة في آن واحد.

"ابقَ معي ولا تستسلم!" صرخ الرجل بغضب. رغم شعور مروان بالضعف الذي تسلل إلى عقله، فإن الدفء الذي انزلق إلى قلبه من تلك اليدين جعله يقاوم ويستعيد تشبثه بالحياة. وأخيرًا شعر بجسده يلامس سطح المركب. وعندما استقر داخله، أخذ يسعل بقوة محاولًا إخراج ماء البحر الذي تسرب إلى أعماقه. حاول استعادة قدرته على التنفس، غير قادر على تصديق أنه ما زال على قيد الحياة.

بعد أن استعاد شيئًا من هدوئه، نظر إلى البحر الذي كاد يبتلعه، ثم إلى القارب الذي لم يعد يبدو كأنه الخلاص، بل مجرد محطة أخرى في رحلة شاقة لا نهاية لها. التفت إلى الغريب الذي لم يتجاهله كما فعل البقية. لم يسأله عن اسمه، ولم يقل له: "شكرًا"، فقط نظر إليه نظرة ترجمت كل ما في قلبه من مشاعر الامتنان والإيمان بأن هناك دائمًا أمل... حتى في أحلك اللحظات.

اندس مروان بين الأجساد المتدافعة، محاولًا الحصول على بعض الدفء، ولأول مرة منذ أن غادر المركب لم يتذمر من ازدحامه الخانق، طالما أنه كفيل بطرد برودة البحر الذي كاد أن يبتلعه في لحظة غادرة.

بائعة الريحان.

علي العجري
صحفي، روائي.

صباح الخير أيها العالم: هذا يوم جديد - لا يعني شيئا في قاموس بطالتي - و هذه هي مدينتي صنعاء .. وهأنذا جالس لأحتسي قهوة الصباح في مقهى (مدهش) بميدان التحرير، و أتناول فطوري، وأتسلى بحكايات العابرين على شارع المطاعم. أفعل هذا الروتين كل صباح منذ سنوات، ويستمر إلى ما قبل الظهر.. أصبحت عاطلا، بعد طردي من وظيفتي كأستاذ في جامعة صنعاء، بسبب زلت قلم ولسان، لم ترق للحاكمين بأمرهم هنا. لكن في هذا اليوم حدث ما يخالف العادة المملة.. أشياء تقافزت في ذهني على شكل أحداث وحكايات عن الماضي القريب والبعيد.. حكايات عنّي وعن هذه المدينة التي كلما غصت فيها عمقا، زادت غموضا ومراوغة.

أتخيل مشاهد الأتراك، وهم يبنون قصورهم وسراياهم حول هذا الميدان غرب الأم العتقية (صنعاء) ذات السور العظيم والأبواب السبعة. أرى أمامي مقر الوالي العثماني على مرمى حجر، وقد تحول الآن إلى مدرسة لتعليم الأطفال، وإذا ما دارت عيناي دورة كاملة سترى بقية قصور العثمانيين الأتراك، وسرياهم، والمستشفى الوحيد حينها. مباني تحولت جميعها إلى قصور لمن جاء بعدهم ثم إلى متاحف ومصالح حكومية بائسة. وبعضها إلى سجون. أما بعض الحدائق فقد تحولت إلى مواقف للسيارات.

وفي هذا الميدان (التحرير) - شرارة سابقا - كانت تقطع رؤوس المعارضين وتعلق على نوافذ القصور لأيام وليال، ردعا وإرهابا لمن تسول له نفسه التمرد أو التطلع إلى عرش الله و الحكم. ومن المفارقات أن القذيفة الأولى للثورة الجمهورية في سبتمبر العام 1962التي أطاحت بحكم قاطعي الرؤوس، قد أنطلقت من هذا الميدان، على بعد خطوات حيث أجلس في مقهى(مدهش). وإلى سنوات قليلة كانت الدبابة التي أطلقت تلك القذيفة لاتزال رابضة في مكانها منذ ليلة الجمهورية الأولى ، وبجانبها نصب الثورة، وهو لازال قائما حتى هذه اللحظة. وكأني أسمع حوله أهازيج، وهرج ومرج المحتفيلن بذلك الحدث العظيم. ومن معالم الميدان شارع المطاعم ومقاهيه العريقة وقد تشكلت في الميدان والعاصمة عموما منذ بزوغ العهد الجمهوري وتشكلت مها ثقافات وتقاليد وأفكار،

بعضها قديم، وبعضها وافد من المحيط العربي وما وراء البحار. في هذه المقاهي هناك إختلاف وإتفاق وصدقات وخصومات.

وعلى طاولات ألتقي صديقي عبدالله الذي يسكن أحد فنادق الميدان منذ نصف قرن تقريبا أغراه العهد الجمهوري بالعودة من أرض المهجر ونزل في ذلك الفندق مؤقتا حتى يجد منزل أبيه الذي كان في تخوم هذا الميدان، لكن عبدالله لم يجد منزل أبيه ولم يغادر الفندق حتى هذه اللحظة وقد جارت عليه السنون وغادرته الصحة . هنا أيضا يحلس السياسيون والأدباء والصحفيون والجواسيس والنشالون والأسوياء والمنحرفون والمتشردون، والعابروان والقطط الضالة. ميدان التحرير هو سرّة العأصمة صنعاء، وقلبها ،ومغناطيسها الذي يجذب إليه الناس من أطراف المدينة: يلتقون، يتقاطعون، يتفرقون في الاتجاهات الأربعة. ويعيدون المشهد مع كل يوم جديد. حرمت أنا من وظيفتي كأستاذ في جامعة صنعاء. وفتح لي الميدان أرصفته ومقاهية، صعلوكا عاطلا.

في هذا الصباح أرى ميدان التحرير حزينا مثلي وبائسا مثلي وعاطلا مثلي. بعد أن هجره أكثر الأدباء والمثقفون والصحفيون، وفروا إلى خارج البلاد. ومنهم من توزعت أقلامهم ودماؤهم بين أمراء المعارك المتصارعين على أشلاء المدن والقرى.

وبالمناسبة تقفز إلى ذهني الأن معلومة تقول: إن صنعاء تعرضت للإجتياح والنهب بفعل الحروب ما يقارب خمسين مرة، كان آخرها العام (1948)، ولا أظنها ستكون المرة الأخيرة.

أراها كما وصفها شاعرها عبدالله البردوني: "مليحة عاشقاها السل والجرب" نعم، الاستطرادات والتداعيات تتوالى وتتوالد في ذهني، ولكن ضجيج الفوضى من حولي، وتعارك مجنونين على فتات خبز متناثر على طاولات المطاعم. ثم نفاد كوب الشاي الذي بيدي، وإحتراق سجارتي؛ كل ذلك انتزعني من االسرحان في الماضي والحاضر. وتذكرت موعدي بائعة الريحان في باب السبح شرق الميدان. باب السبح هو أحد الأبواب السبعة لصنعاء ألقديمة. و هو الحد الفاصل بينها وميدان التحرير. كان يغلق مع بقية الأبواب السبعة عند الغروب ولا يفتح ألا عند الفجر. لكن الجمهورية فتحتهم إلى الأبد مع خمسة من إخوانة، بإزالتهن من الوجود تماما. لتبقى هذه الأبواب مجرد تسميات. وحده باب اليمن الشهير في الجنوب لازال قائما مع جزء من سور المدينة التاريخية.

***

مشيت عبر نفق المشاه المستحدث قريبا.. القبيح، الذي تفوح منه رائحة البول والغائط والقذارة، وفي زواياه يربض بعض المتشردين والكلاب. في الطرف الأخر للنفق يكون الحي العتيق (باب السبح) مباشرة، حيث تجلس سمية بائعة الريحان.

مشت أمامي وأنا خلفها نتلوى في حارات باب السبح الغافي في صدر التاريخ. اقتربنا من مشارف السائلة في حي النهرين.
ندلف زقاقا ضيقا بعرض متر تقريبا. صعدتْ هي درجتين حجريتين، لتفتح باب بيتٍ موغل في القدم، مبني من الياجور (الطين المحروق) على قاعدة حجرية سمراء، وموشح بحزامين من الجبس الأبيض، في وسط البيت وأعلاه.

كنت قد تعرفت عليها أثناء ترددي لشراء الخبز الصنعاني الطازج. لكن عينيها الساحرتين، أخذتا قلبي بلا ثمن.

سمية قريبة الشبهة من مدينتها صنعاء: خليط من سحر الماضي وعبَقه، وقلق الحاضر، وأحلام المستقبل. تلف جسدها بالطرحة الصنعانية التقليدية المزينة بالألوان الحمراء والبيضاء والسوداء والذهبية والزرقاء. لكن اللونين الأحمر والأسود لهما الغلبة -وكأنهما إحدى التجليات البصرية لحال البلاد - وتحت هذه الطرحة أو الستارة بالصنعاني، تلبس سمية بنطالا و بلوزة - صناعة صينية - تحاكي تقليعات الموضة. اتفقنا ليلة البارحة، أنا وهي، هاتفيا أن يكون اليوم فاصلا في علاقتنا المتأرجحة منذ أشهر. وهأنذا قادم.

- نهارك سعيد سميتي.

- أهلا دكتور. ولو أني مش عارفة أيش بتعالج؟!

- قلت لك.. أنا دكتور في الجامعة، مش طبيب. درجة تمنح في التعليم بعد الجامعة.

- هههه...! أنا تركت المدرسة في صف تاسع، وما أدري أيش بعدها.

- المهم ..اليوم جيت حسب الموعد والوعد.

- اسمع، أنا أكمل عملي الساعة الثانية. اتبعني عندما أرجع إلى البيت. دون أن يبصرك أي شخص.. فاهم؟.

- وهو كذلك. سأشغل وقتي و بالي عنك، بالتافهات من الأشياء، حتى تفرغين من عملك..

***

الساعة الثانية وعشر دقائق هاهي تستعد للعودة.. مشت أمامي وأنا خلفها نتلوى في حارات باب السبح الغافي في صدر التاريخ. اقتربنا من مشارف السائلة في حي النهرين.

ندلف زقاقا ضيقا بعرض متر تقريبا. صعدتْ هي درجتين حجريتين، لتفتح باب بيتٍ موغل في القدم، مبني من الياجور (الطين المحروق) على قاعدة حجرية سمراء، وموشح بحزامين من الجبس الأبيض، في وسط البيت وأعلاه.

قمريات معشّقة بالزجاج الملون: أحمر ،أصفر، أخضر ،أزرق ،وشفاف كالماء الصافي. سمية أزاحت الستارة الصنعانية التي تلف بها جسدها، ورمتها جانبا وأزالت النقاب من على وجهها؛ فبدت وكأنها قمر يبزغ من عمق الظلمة.

كما يحيط الجبس الأبيض بالنوافذ كذلك. غابت سميتي إلى الداخل وتركت الباب مواربا. أنا تلفتُ حولي في خوف وحذر ثم تبعتها في الحال. اجتازنا الدور الأول المبلط بالحجارة السوداء وفيه المطبخ ومخزن المؤنة وأشياء أخرى. ثم صعدنا إلى الدور الثاني، دخلنا المجلس (المفرج): غرفة بطول أربعة متر في عرض مترين تقريبا. مفروش على الطريقة الصنعانية: مجالس قطنية مستطيلة بأرتفاع عشرة سنتيمترات أو أكثر، وعلى كل مستطيل متكأين وخلفهما مسند. الكل ملبّس بالقطيفة الحمراء المزهّرة باللون الأبيض، وفي وسط الغرفة سجادة من الصوف الأحمر بخطوط سوداء وذهبية وبيضاء. فيما النوافذ من الخشب الأحمر، تعلوها قمريات معشّقة بالزجاج الملون: أحمر ،أصفر، أخضر ،أزرق ،وشفاف كالماء الصافي. سمية أزاحت الستارة الصنعانية التي تلف بها جسدها، ورمتها جانبا وأزالت النقاب من على وجهها؛ فبدت وكأنها قمر يبزغ من عمق الظلمة.

غادرتْ إلى الداخل وتركتني أتأمل تفاصيل هذا المجلس (المفرج): جدرانه المزينة بالأواني النحاسية المذهبة والفضية، ولوحات القماش المرسوم عليها مكة المكرمة ومسجد النبي محمد، ولوحة أخرى مرسوم عليها أيا صوفيا. وفي الجانب الأخر لوحة بخط عربي أنيق لسورة (الفاتحة) بحروف ذهبية على قماش أسود، وبجانبها المصحف الشريف، يغطيه كيس قماشي مزين بألوان مختلفة. وفي زاوية المكان رف تعلوه أنية نحاسية مخروطية منقوشة، ومملؤة بماء الورد. وفي الرف المقابل زهور صناعية وفي رف آخر صورة فوتوغرافية للحي القديم، ثم صورة لبائعة الخبز وبالقرب منها بائعة الريحان سمية تلمع عيناها من نافذة النقاب الأسود. التقط الصورة سائح مرّ من هنا ذات يوم. الإهداء واسمه وتوقيعة مكتوب في أسفلها. سمية عادت من الداخل ومعها الغداء: خبز مدور كبير بقطر يقترب من الذراع، وبجواره المقلى و بداخله الحلبة مع المرق واللحم والخضار المطبوخ (السلتة). قالت: أنا اليوم جننت أكيد. استغليت غياب أهلي وأدخلتك بيتنا. أكيد عملت لي سحر.

- هذا كرم منك وثقة، لن أخونها.

- تفضل غداء.. على قدر الحال.

- خير كثير، وبركة.

***

حدثتني عن طفولتها. زواجها المبكر ثم الطلاق. حرمانها من التعليم. إنخراطها في العمل اليومي الشاق الذي يبدأ قبل بزوغ اليوم ولا ينتهي إلا مع العصاري.

تناولنا الغداء والشاي وحان الجلوس لتناول (القات).

غابت سمية للحظات ثم عادت وهي تلبس الزي الصنعاني التقليدي: زنة (فستان) قطيفة مزركشة. وعصبة مذهبة تطوق رأسها كتاج، فيما شعرها ينساب كشلال أسود على كتفيها. أشعلت البخور و خشب العود. ثم بدأت تتمايل راقصة على أنغام العود اليمني، وإيقاع الصحن النحاسي الصغير. " لله ما يحوي هذا المقام " أشرف عليّ كالهلال من طاقة القصر المشيد " العصر عصر الغنج والتحافة " ، " حبيب ما حب شي غير الزهور "، وغيرها من الأغاني الصنعانية المميزة. نسمع ونغني ونرقص ونبوح بما في القلوب والأجساد من مشاعر ورغبات. حتى وقت الأصيل.

***

الشمس الغاربة تقبل القمريات بأشعتها الذهبية وتستعد للمغيب. تحول المكان إلى مزيج من السحر والشاعرية، والتحليق في الأحلام البعيدة.

القات في هذه الساعة من اليوم يجعل الإنسان يسبح في فضاءات الدهشة والتأمل والإنبساط والصدق القادم من القلب. مما دفع سمية لفتح صندوق قلبها وأسرارها المغلقة.

حدثتني عن طفولتها. زواجها المبكر ثم الطلاق. حرمانها من التعليم. إنخراطها في العمل اليومي الشاق الذي يبدأ قبل بزوغ اليوم ولا ينتهي إلا مع العصاري. كما حدثتني عمّا تلاقيه من الناس: إحتقار، تحرش، استفزاز، ملامسات وقحة، كلمات نابية وخادشة ومتغزلة (بائعة الريحان الشابة الجميلة، ذات اللسان الحلو، وبنت السوق اللعوب...)

أنا أيضا بلغت حالة تجلي. قلتُ لها: سمية، لماذا لا نتزوج ؟!

- أنت مجنون، أو بعقلك! فين أنت وفين أنا... سمية مجرد بنت سوق وأنت المتعلم ابن الحسب والنسب.. أنت من عالم وأنا من عالم...

_ ولكن...

- مفيش ولكن .الموضوع منتهي ... أرجوك .

ثم أزاحت ستارة النافذة. وكان الظلام قد بدأ يبتلع المدينة، إلا من خيوط ضوء باهتة، قادمة من قمريات البيوت الهاجهة هناك أمام البصر، تتلامع كنجوم في سماء بعيدة. مدت عنقها إلى الخارج وبصوت يغالبه الفزع : - يووووه...! قد هو ليل، وأهلي أكيد راجعين الآن .أرجوك! اسرع، اسرع. أخرج الآن

- قذفني باب المنزل إلى الزقاق المظلم ومنه تلمست طريقي حتى سوق باب السبح، ألقيتُ نظرة على مكان جلوسها اليومي لبيع الريحان وكأني أتشمم أثرها. ثم نزلت إلى النفق عائدا إلى الميدان. النفق قبيح ومخيف ومنتن... ومظلم هذه المرة.

ليلة قصيرة.

آيه بدر
قاصة، عضو مجلس أمناء المجلة.

عندما يشع ضوء القمر وتمتلئ السماء بصوت الغربان، يبدأ ليلي أنا وعائلتي. دعوني أعرّفكم على عائلتي: نحن ألطف عائلة في العالم. لا أحد يأكل أي جزء من الآخر، ما عدا بعض الأحيان التي تقوم فيها جدتي بسرقة أصابع غير هامة من أفراد العائلة عن طريق الخطأ.

أنا الحفيد في هذه العائلة. لم نكن هكذا من قبل، أي قبل أن أكون معهم. كان الجميع يكره بعضه، وكانوا مجموعات متفرقة، ولم يكن لهم منزل بل كانوا يعيشون في أي مكان ويتغذون على أدمغة البشر. وبالنسبة لهم، كان ألذ نوع هو دماغ الإنسان الذي يتناول القات، فقد كان ممزوجًا بصانع السعادة. للأسف، لم يعد هناك الكثير من هذا النوع، حتى أن عمي القائد قام بادخار القليل منه، مع أنه ممنوع من قِبل الزومبي العِظميين لأنه يسبب الارتخاء الخارق – وهو ما يحبه عمي كثيرًا.

في الإفطار، أشتم رائحة الأدمغة المقلية الطازجة، فأمي لا تحب أي جزء غير طازج، على عكس أبي الذي يحب الأرجل المجمدة أكثر، فهو يعشق القرمشة. أمي تطهو الطعام دائمًا من أجلي، مع أنها لا علاقة لها بالمطبخ، لكنها ألطف وأشجع أم في العالم. وبفضلها... أوه، لا يجب أن أخبركم بالسر، فهو سر!

لكن، سأحكي لكم كيف بدأت عائلتنا.

في يوم من الأيام، اقتحمت أمي وخالي أحد المنازل القديمة في صنعاء. كان المنزل جميلًا، يملك بابًا مزخرفًا رائعًا. إنه أحد البيوت التي لم تُدمَّر بسبب المطر أو بسببنا.

بكل تهذيب، اقتلعت ماما الباب الخشبي، ثم أدخل خالي رأسه، وإذا بجمبيته تشق أنفه... لا بأس، لا تقلقوا، لم تصل إلى دماغه. وهو الآن يُدعى "صاحب الجنبية".

في كل طابق من المنزل، كانت توجد غرف لفئات عمرية مختلفة: في الطابق الأول، رجال يرتدون الأثواب والجنابي التي دائمًا ما تترك أثرًا على جسد أمي.

وفي الطابق الثاني، الفتيان الذين كانوا أمل استمرار الذكور في العائلة.

وفي الذي يليه، النساء صاحبات نقش الحناء والزنان المطرزة، والعرّادة المكلّلة بالريحان والشذاب، التي كانت كالبهارات لأمي.

ثم كبار السن، الذين مرّ عليهم الزمن كبيوت صنعاء.

بعد الشبع الكبير، قرروا أن يرتاحوا لبعض الوقت، وفجأة، بعد ربع ساعة، سمعت أمي صوتًا وذهبت لتتحقق مما إذا كان هناك بشر. لكنها وجدت أبي وجدتي وعمي، وهنا بدأت المعركة حول من له الحق بالمنزل. اشتد القتال بين أمي وجدتي وأبي من جهة، وبين خالي وعمي من جهة أخرى، حتى وقع الجميع من أعلى الدرج وبدأوا يدورون حول أنفسهم حتى وصلوا إلى النافذة المفتوحة.

سقط كل من أمي وأبي وعمي في البئر التي كانت تحت النافذة. واستمر العراك بينهم، لكن فجأة توقفت أمي لتسمع صوتًا مميزًا. حاول أبي الاستمرار في القتال، لكن أمي أسكتته (شششش...)

هدأ الجميع، واقتربت أمي من صندوق خشبي عائم في البئر، لترى طفلًا صغيرًا يضحك من حركة الماء. نظرت في عينيه، ومدّت يدها. وفجأة عضّها الطفل الغريب! ومن هنا قررت أن تصبح أمًا. حاول أبي أن يأكلني، لكن إصرار أمي على حمايتي جعله يقع في حبها.

بعد محاولات، نجح أبي وأمي وعمي في الخروج من البئر. قرر أبي أن يبقى مع أمي لحماية الطفل معها، وقرر خالي أن يبقى كي يحميها من حماتها. أما عمي، فظل معهم لأنه أراد الطعام. ومن هنا أصبحنا عائلة زومبي لطيفة.

أنا الآن شاب زومبي في العشرين من عمري، أي في سن الزواج – حسب أمي. لقد عرّفتني على كل فتاة زومبي، لكن لم يكن لقائي بهن جميلًا، ففي كل مرة ينتهي بي المطاف كمقبلات على العشاء.

حتى التقيت بجميلتي. كانت مختبئة في الجامع الكبير، تدعو الله أن ينقذها من عائلتي.

في تلك اللحظة وقعت في حبها، بعد أن كسرت رأسي بيديها عندما قابلتني عند الباب. وهذا ما أغضب أمي، لكنها هدأت عندما قلت بأنني سآكلها أنا، وبأنها غدائي. لكنها كانت تعرف أنني لن أفعل، وأنا أصبحت كظل يتبعها.

ثم عرفتني على عائلتها، ثم على آخرين من البشر. ومن هنا بدأت أبتعد وأبتعد عن عائلتي، وبدأ قلبي يكرههم أكثر. لقد بدأ قلبي يدق – هكذا كانت تقول لي من أحبها. حتى عرف خالي بموضوع حبيبتي، فاضطررت أن أقتله.

لم أستطع التوقف، وقتلت أفراد عائلتي واحدًا تلو الآخر، حتى وصل الأمر إلى أمي. وكان عليّ أن أفعلها، وكان عليها أن تفعلها منذ زمن.

لكنها الآن فعلتها. قامت أمي أخيرًا بتحويلي إلى ما هي عليه، وجعلتني أقتل حبيبتي بنفسي.

لكن، بصراحة، كان مذاقها عاديًا... غير لذيذ. آه، ههه، يا لها من ذكريات، ويا لها من ليلة قصيرة.

تصبحون على خير، يا أعزائي. لا تحركوا ساكنًا في الغد، وأتمنى ألا تموتوا اليوم... من اللقمات التي تناولتها منكم!

عندما ينتهي شيء ما.

أسماء خليل

قاصة.

ما الذي كان يضفي على اللحظة بهجتها؟ أهو الحب في الحبيبة؟ أم المدينة التي ترسل سحرها عبر كل نسمة هواء وشعاع شمس، فترى وجه الحبيبة أجمل من كل زخرفات المدن العتيقة.

هكذا بدأتُ أقصُ عليه حكايتي، الرجل الذي رآني أهذي من فرط الحمى وأنا أسيرُ في الشارع، فآواني عنده..

كان يعيش وحيدا في غرفةٍ أكلت الرطوبة جدرانها.. يبدو على قسمات وجهه أنهُ رجلٌ خاض في غمار الحياة وطحنته حروبها، عرض عليّ أن أقاسمه في ذلك المساء غرفته فلم أجد بداً للرفض كما أني لستُ أعرف في هذه المدينة أحد.

سألني: هل زرت مدينتك؟ أجبته بأني لم أقم بزيارة المدينة منذ فارقتني، لم أطق أن أمر بشوارع المدينة وأزقتها دون أن تكون يدها في يدي..ثم أخبرتهُ متسائلة: ما الوطن؟ الأرض أم الحبيبة؟

لمحتُ في طرف هدبه دمعةً إلا أنه أشاح وجهه لكي لا أراها..

كانت أم كلثوم تغني من الراديو " لسه فاكر قلبي يديلك أمان؟ " تضع كلثوم هذا التساؤل في مطلع الأغنية، لكنه قلبي.. كان زمان.

أردفتُ قائلاً: لا شيء سوى السكون، إنها ميتة، مثل جثةٍ باردة زرقاء وبعد أن ماتت أدركتُ بأنها لم تعش.. كيف باستطاعتك العيش في مدينةٍ كهذه؟

لكنهُ لم يجب، سألني مباغتاً "أتشتاق؟" لم أكن قد سألت نفسي هذا السؤال ولم أكن على استعدادٍ لأفتش عن إجابةٍ له، لكن هل أشتاق؟

أجبتُ بكبرياء الرجلِ الذي ينزفُ من كل موضع ولا زال يقاتل: لكن لمَ الشوق؟ لم يعد يربطني بها شيء.. ولكني أعترف لك بأني أخشى العودة.. لا لشيءٍ سوى خوفي من الوقوف أمام كل الذكريات فلا أشعر تجاهها إلا بالغرابة وكأنما لم تكن يوماً ما المدينة التي ركضت تحت سمائها الممطرة وأهمس في أذنها " الله لو مطرٌ وأنتِ" فتضحك.

"يبدو بأنك كنت تحبها.." قال لي. أجبتهُ: "آه.. وهل من شيءٍ يقتلنا غير الحب؟ وهل كان هذا القلب سبباً لشيءٍ إلا الشقاء والألم؟ ثم لماذا تطولُ الليالي هنا؟ أكادُ أكملُ عاماً في هذه المدينة.. تمرُّ ليالها بثقلٍ شديد، يتسرب الحزن من مساماتِ جلدي، وأكادُ أتقيأ الضجر والوقت البطيء.

تتجمع هموم العالم كلها وتطبق على صدري، أقاوم حزني الذي يوشك أن يلتهمني، أقاوم الوقت الذي ينهشُ عقلي، أقاوم بشاعة العالم ولا أسمح له بأن يقتحم عالمي."

لكنه رد قائلا:" كل الليالي سواء، حتى الأغاني هي ذاتها.. حتى أنت تسربت البرودة إلى روحك فلا عاد يعني لك من هذا العالم شيء، تفقد نظرتك الحنونة تجاه الأشياء/ الأشخاص.. وتتظاهر بالقسوة واللامبالة، لكن هل أصبح التظاهر هذا صفةً دائمة؟"

استغربتُ رده.. لكني تقبلته، رجلٌ يعيش في غرفةٍ كهذه، يسافر كثيراً ولا يستطيع أن يمكث في مكان واحد أكثر من عام ما الذي كنت أتوقع أن يرد به؟

أكمل كلامه قائلاً:" لكنك تقرر فعل أي شيء.. وعندما تفعله بكل ثقة لا مجال للتراجع، تحتمل كل تابعات قرارك دون أدنى ندم، لأن الندم على عدم فعله أشد من الندم على الفعل نفسه، ستقف حينها في المستقبل تظن بأن الشيء ذاك قد فاتك وبأنهُ لربما حالفك الحظ حينها وبأنك جبُنت فلم تمش خطوةً واحدة تجاهه."

قلتُ: "لا شيء أبشع من النظر لنفسك في الماضي بأنها كانت جبانة ولم تحاول.. هكذا دخلت كل تجاربي في الحياة، هكذا مضيت تجاه كل ما مررت به، تجاه الحب، هكذا خطوت أولى خطواتي.. لطالما كنت مدفوعا باليأس لا بالأمل، وحتى حينما غادرتها؛ لأني أعلم بأنه لم يعد لي فيها أي شيءٍ يستحق الوقوف..

مشيت يائساً مجابهاً الحياة وكأني أقول لها لم أعد أملك شيئا لأخسره تعالي واجهيني عارياً من كل شيء.. لكنها لم تواجهني بل ظلت ترميني من بعيدٍ بالأمل تحاول قتلي، لكني الرجل الذي خسر كل شيء، الحب، الوطن، الأمل وحتى نفسه.. وها أنا ذا فارغٌ إلا من الخسائر.

قمت من مكاني وتجولت بقلقٍ في الغرفة وأكملت: "عندما ينتهي شيءٌ ما وإن كان انتهائه حين إذٍ خسارة ستحس بالانتصار على حرب أثقلت كاهلك وإن كان هذا الإنتصار وهماً أو حزيناً لقد كانت حرباً وانتهت انتصارك أنها انتهت. تظن أنك انتصرت إلى أن تهاجمك ذكرى عابرة، تعلم حينها أن حربك صارت مع ذاكرتك لكنك هنا تحاول فقط البقاء حياً دون أن تغتالك."

"لكني أشعرُ بأني غريبٌ.. عني، عن طيف حبيبتي الذي يزورني خلسةً في الليل، وعن هذه المدينة الهادئة كمقبرة وأتسائل في هذا الليل البارد "إلى أين تذهب الأشياء التي أحببناها ولم نحصل عليها؟" لربما هنالك غرفة فارغة في الجنة يودع الله فيها أحلامنا المؤجلة ودعواتنا التي ظننا تراكمت أمام باب سماءه." لم يرد على كلامي بل نظر إلى عينيّ.. لكنني أكملتُ له قائلا: "ستنتصر الحياة يوما ما عليّ، وسأفلت يدي عن خناقها دون أي محاولةٍ مني للتشبث سأضع يدي على رأسها وأمسد على شعرها بحنان.. ربما هي تحتاج للحنان أيضا، ربما حينها سأعلم بأن البقاء غير مجديٍ..

في كثيرٍ من الأحيان أفكر فيما إذا كنا دمى على مسرح.. المسرح الذي يُسمى حياة، تخرج من أكتافنا خيوطٌ خفية كما خيوط العنكبوت وهنالك قوةٌ ما عظمى تحركنا بهذه الخيوط دون وعيٍ منا أو إرادة، وإلا ما الذي دفعني لأهجر مدينتي وآتي إلى هذه المدينة الميتة حتى وإن كانت الذكريات في مدينتي تقتلني."

استأذنت الرجل الغريب بالرحيل، فلقد هدأت حرارتي، لم يعرف اسمي ولم أعرف اسمه فقد ودعنا بعضينا وشكرته على هذه الليلة وقلت له بأن يتمنى لي انقضاء هذه الليلة ومضيت..

أحسستُ بشيءٍ ما في منتصف جبتهي ينبض بألم، كأن عرقاً ما قد تضخم، الليل يزيد كتفيَّ ثقلا، وأنا أمشي وأم كلثوم تغني وتغني في سماعة الأذن.. أسير في شوارعٍ باردةٍ تماما كقلبي. لا أعلم من منا يكره الآخر.. هذه المدينة أم أنا، مشيتُ بكل شوارعها كمحاولةٍ لإسكات ألم الروح بألم القدم كما قال عمارة لكنني أعود كل مرة لأستلقي.. قدماي وروحي يؤلمانني أتناول المهدئات ولكن هل من مهدئاتٍ للروح؟

أدرك بأن مسيري في شوارعها متلفتاً لكل الوجوه، ملتقطاً كل اللحظات الصغيرة، مُسكتاً أصوات رأسي كالعادة بالسماعات، أحاول البحث عن شيءٍ ما يجعلني أن أقول هذه المدينة تحبني وأحبها لكنني أفشل.

وصلتُ للغرفة التي أعيشُ فيها، كان صاحبها يطرق الباب بقوة وعندما رآني اندفع نحوي مهاجماً: "غداً تلم أغراضك وتخرج منها، أربعة أشهر وأنت لم تدفع الإيجار" هززت بينه وبين نفسي.. عن أي إيجارٍ يريد؟ عن غرفةٍ تملؤها رائحة العطب والجرذان؟ لكنني حركت رأسي من أعلى إلى أسفل مراتٍ عديدة وكان صوته قد حال من كلماتٍ مفهومةٍ إلى ذبذاتٍ غريبةٍ..

فتحتُ الغرفة، تحسست جبهتي ناظرا إلى المرآة المهشمة، قطراتُ العرق تجمعت على جبهتي وكانت تلألأ.. تغني كلثوم قائلةً:" واللي قاسيته في ليلي أتنسى ويا الصباح".. أعلق الحبل، كأنني في مشهدٍ ختامٍ على خشبة المسرح.

- **من أعمال الفنان سعد الشهابي، محرر المحتوى المرئي لدى المجلة.**

روح الياسمين.

زينب الحداد
المحررة اللغوية لدى المجلة.

الحُبُّ في عينيكِ
صومعة ونورْ
فأراكِ تختصرين درباً موجِعاً
وأراكِ في فلكِ الزمان محطة
تهدي مُحبِيها
جوازات العبورْ
وكأنكِ الفعلُ الأخير يمرُّ بي
وكأنكِ العَرفُ القديمُ
يحثُّ قافلة البخورْ
أوَّاه ما أحلى التفاصيل التي
هزَّت كيانيَ؛
فلسفتْ شكل الظهورْ
ما زال فيكِ ربيع دفء
لم يمت
ما زلتِ تبتسمين
تهدينا التماعات السرورْ
مازلتِ يا صنعاء عابقة
كغصنِ الكَرْمِ في رئة الحياة
أنتِ الحياة..

أنتِ امتلاء الكأس
في يُمنى الحبورْ
أنت اكتحال الفجر
في لون الندى
فأراكِ عزف العود
في سمع الوجود
وأراكِ روح الياسمين
وأراكِ معنى الغيم
يرأف بالطيورْ
ها أنتِ مثل الروحِ سابحة
كذاكرة الزهورْ
ها أنتِ كلَّ الحبِّ..
صابرة
وهل يُنسى الصبورْ...

سامحتُ فيكِ مواجعي
وإذا بها الأيام مثل
رحىً تدور
لمَّا أعادتني إليكِ
نَثَرْتُ كلَّ مشاعري قُربى هنا
قد أسفرت دُررُ التَّبتلِ

حين خالجها الشعور

لمَّا تبدَّى الوجد في عينيكِ

لونُ سحابةٍ

مرَّت على كلِّ البحورْ؛

للحبِ

للأضواءِ

للُقيا تغنيَ

والعنادل صادحاتٌ

تقطفُ النَّجمات

من عين الظلامِ

وتزرعُ الآمالَ

في أحلامنا

تأتين يا صنعاء

تنسكبين في كلِّ

التفاصيل الصغيرة

في الممرات الحميمة..

حين يُسقى الزائرون

هوى

و وجدانا

على مرِّ الدهور...

شباك مهجور.
ليلى حسين علي
عضو مجلس أمناء المجلة.

"أغنية "

تخطف وجهي بإنسجامٍ

تنساب بين ثنايا الروح لحناً وريشة

تُغني "على حسب وداد قلبي "

تنجلي كل المقامات لتزول الرتابة.

***

"هوى"

على طاولة دائرية

باستخدام عُملاتٍ ملونة تشبه لُعب الأطفال ..

بلا تردد ..

أُراهن على قلبي...

هل يا تُرى نكسب؟

***

"بالون"

أرتدى أحدث ملابسه

تعطر بطفولته الباهتة

أنتظر والده العائد من الحرب

تلقى وصية وخيط بالون طار إلى السماء

لم تعد للطفولة رائحة تذكر.

***

"تغريدة"

علامتا تنصيص يعانقان إقتباس يشبهها

تضع قلبها الافتراضي

وتنهي مهمة الحنين بـ "Retweet"

"صداقة"

وقعت في شرك قول الأسرار ...

أرخت على كتفه رأسها

فيما بعد ألقاها الزمان وصدقها على الأرض.

***

"خذلان "

توأمة وحب عميق يقابله غرور مؤقت

خيارات كثيرة يختار أن يخون الاختيار

يدوس على الحب دون أن ينتصر

***

"ديكور"

أثاث رمادي أريكة سوداء ، على زاويتها تجلس فتاة

حنطية

عيناها أبجورتان

قلبها متسع

روحها تزكي المكان بأكمله ...

وبكاؤها غبار موسمي يعكر صفو من يرتادها

لينسى هماً ويحمل هماً جديداً.

***

"منشأة "

وراء المكتب تتقمص دور الودودة مع زملائها

عين على تاريخ اليوم وأخرى على وشوشة تتناقل من

أقصى الرواق

أمامها تماماً «طلب استقالة»

ألق باهت جداً.

حسين إبراهيم

إنه قلبي من ينزف هذه الكلمات
التي لم تعد مجدية
في ترويض هذه الآلام
حين يخلفها غيابك

قدري المحتوم أن أكون شاعرك
لا أتلقى بدلاً عنك الخيبات
ولاأحل محل الألم في ندبتك العميقة المنسية
وأنتِ تجعلين من التضحية رداءً لتمرير هذا النسيان
القاحل.

***

لم أعدْ موجودًا بعدُ،
إنني أملأُ تلك الجراحات
التي منكِ،
قساوةُ الإهمال.
ابحثي عني هناك،
بين أشلاءِ الحروف،
ولا مفاتيحَ في القصائد
أمام أبوابكِ الموصدة.

....

- **حقوق هذه اللوحة لصالح المجلة.**

المخطوط اليمني في المهجر: نهب معرفي أم توثيق حضاري؟

رياض عبدالله الفرح
باحث مستقل، نائب مدير منتدى المؤرخ محمد حسين الفرح.

يمتلك اليمن ثروة معرفية هائلة في شتى العلوم منذ أقدم العصور، وفي العصر الحديث تفرّق التراث اليمني واستقر في مكتبات العالم، وظفر بنوادره الأفراد والخزانات العامة والخاصة في عهود مختلفة في المشرق والمغرب، فوصل الكثير منه إلى أوروبا على أيدي المستشرقين والتجار، كما وصل الكثير من نوادره إلى تركيا في أعقاب الاحتلال العثماني لليمن. ووصل إلى الهند مع كتب الدعوة الإسماعيلية التي خرج بها أصحابها إلى هناك بعد انقضاء هذه الدعوة من اليمن في أواسط القرن السادس الهجري. كما كوّن كثير من الأفراد خزانات ضخمة حصلوا عليها نتيجة زياراتهم لليمن، وانتشار باعة الكتب المخطوطة قديماً وحديثاً. نشط بعض الناس في تهريب الآثار اليمنية بمختلف أنواعها، ومنها المخطوطات. وفيما يلي أهم الأقطار التي استقر فيها هذا التراث الضخم حتى أواخر السبعينات:

أولاً ـ في أوروبا:

أهم الأقطار الأوروبية التي بها مجموعات يمنية هي إيطاليا وألمانيا. ولإيطاليا صِلات قديمة باليمن، فكان تجار البندقية ينقلون بضائع اليمن بعد وصولها إلى سواحل البحر المتوسط إلى أوروبا، قبل اكتشاف البرتغاليين لطريق رأس الرجاء الصالح سنة 1498م. وكان عدد كبير من المستكشفين قد زاروا اليمن وترجموا الكثير من الآثار اليمنية، ولاحظوا المخطوطات النادرة، ولكنها لم تخرج بأعداد ضخمة إلى إيطاليا إلا في أوائل القرن العشرين. فقد بلغت مجموعة مكتبة الإمبروزيانا بميلانو حتى عام 1975م حوالي 1900 مخطوطة في شتى العلوم، وتعد هذه المجموعة من أضخم المجموعات للمخطوطات اليمنية في أوروبا. أما ألمانيا، فقد أوفدت الكثير من الرحالة والمستكشفين إلى اليمن، ولاحظوا أيضاً ما تحتويه خزائنه من المخطوطات الإسلامية العربية. ومن أشهر المستكشفين الألمان الذين رحلوا إلى اليمن: أدوارد جلازر (Glaser) الذي قام بأربع رحلات إلى اليمن، جمع خلالها مائتين وخمسين مخطوطة من مؤلفات الزيدية، وضعت جميعها في مكتبة برلين. وقد قام الأستاذ آلواردت (Allweggardt) بوضع رسالة خاصة عن الكتب اليمنية الموجودة في ألمانيا،

طبعت سنة 1887 في برلين. ثم أضيفت إلى محتويات مكتبة برلين وظهرت في الفهرس العام للمكتبة. وفي المكتبة العامة بفينا نحو مائة وخمسين مخطوطة يمنية، وتحتفظ المكتبة الوطنية بباريس بعدد وافر من المخطوطات اليمنية التي ترجع إلى العصر العثماني، هذا بالإضافة إلى ما تحتفظ به مكتبات المتحف البريطاني، وكامبردج، والاتحاد السوفيتي، وليدن، وجامعة بابل بالولايات المتحدة الأمريكية.

ثانياً ـ في تركيا:

وقعت اليمن تحت الحكم العثماني فترة طويلة، وكان العثمانيون حريصين على تكوين المكتبات والحصول على المجموعات النادرة، فجمعوا من مصر والشام واليمن الكثير من المخطوطات التي كانت نواة لجميع مكتبات تركيا. والمجموعات اليمنية في تركيا مفرّقة في مكتباتها المختلفة مثل: آيا صوفيا، وكوبرلي، وأسعد أفندي، وأحمد الثالث، والسليمانية... ولكن أكبر هذه المجموعات هي الموجودة في مكتبة علي أميري بإسطنبول. وقد كان صاحبها علي أميري مجرّدًا طوال حياته للكتب، فابتاع بكل ما رزق به من مال كتبًا. وكان دفترادارًا* للأتراك في اليمن، فبلغت الكتب التي ابتاعها من اليمن نحو ألف مجلد، فيها كثير من تواريخ اليمن.

ثالثاً - في الهند:

بعد القضاء على الإسماعيلية في اليمن، في أواسط القرن السادس الهجري، لم تأمن مصنفاتهم الباقية من البطش. في سنة 902 هـ أمر السلطان عامر بن عبدالوهاب الطاهري بتقييد رئيس الإسماعيلية سليمان بن حسن بمدينة تعز وأودعه دار الأدب، وكان كبير علماء الإسماعيلية، وأمر بإحضار كتبه وإتلافها، فأتلف بعضها، ومن بينها مؤلفات إسماعيلية كثيرة، منها مؤلفات عماد الدين إدريس بن الحسن بن عبدالله بن علي بن محمد بن هاشم المكري المتوفى في 19 ذي القعدة سنة 872 هـ. وكان الإسماعيليون قد فرّوا بمصنفاتهم إلى الهند، كما نقلوا الكثير من الوثائق الفاطمية، خاصة إلى مقاطعة كجرات الهندية، حيث توجد طائفة كبيرة من أتباع الدعوة الإسماعيلية.

وفي مطلع القرن الرابع عشر الهجري كانت هناك محاولات أسفرت عن نقل كثير من التراث اليمني إلى الهند، فقد كان السيد حسين بن محسن بن محمد بن مهدي الخزرجي من الذين عظمت منزلتهم عند ملك بهوبال الهندية محمد بن صديق بن حسن القنوجي البخاري، وصحبه فترة بعد أن تولّى القضاء ببندر اللحية في اليمن. فكان الوسيط بين ملك بهوبال وأهل اليمن من العلماء الأعلام، بالمكاتبة وإرسال كتب السيد محمد صديق إليهم، كتفسيره "فتح البيان"، و"أبجد العلوم" وغيرها. فكان الخزرجي يجلب له الكتب النفيسة من اليمن ويشتريها له بأبلغ ثمن.

رابعاً - متفرقات:

وقد انتهز كثير ممن عملوا في اليمن فرصة وجودهم في هذا البلد العريق، وبناء على معلوماتهم عمّا تحتويه مكتباته من تراث خالد، حصلوا على بعض مخطوطاته النادرة. فابتاع الشيخ أحمد رجب الحلبي مجلدًا عندما كان في صنعاء بوظيفة مفتي لواء سنة 1325 هـ يحتوي على: كتاب قرة العيون في أخبار اليمن الميمون لابن الديبع الشيباني، وكتاب الذخيرة وكشف التوقيع لأهل البصيرة في تأويل الأحلام في الليالي والأيام، وهو كتاب في تعبير الرؤيا يُظن أنه للمؤلف السابق، ونشر المحاسن اليمانية في خصائص اليمن والنسب القحطانية. كما ابتاع عدة مخطوطات أخرى أحضرها إلى حلب.

وكان السيد محمود كامل باشا العينتابي الحلبي، مستشار نظارة الحربية العثمانية في عهد ناظرها أنور باشا، قد استنسخ نسخة من كتاب اللطائف السنية للكبسي، كُتبت بعناية في 352 صفحة سنة 1324 هـ، كما ابتاع نسخة من كتاب روح الروح لعيسى بن لطف الله في جزئين كُتبا سنة 1101 هـ. وممن حصلوا على مجموعة كبيرة من المخطوطات اليمنية السيد محمد بن عبدالرحمن العبيكان، وكان سفيرًا للسعودية في اليمن ثم السودان عام 1958م. وكان يوجد لدى السيد محمد حيدر التهامي اليماني، الذي كان يعيش في بلدة أبي عريش بالمخلاف السليماني، مكتبة عامرة بالمخطوطات اليمنية في شتى العلوم، تم إحراقها عند احتلال الجيش السعودي لهذه المنطقة في الحرب التي دارت بين الإمام يحيى وعبدالعزيز آل سعود. وهكذا تفرّق هذا التراث اليمني الكبير، فوصل بعضه إلى المكتبات العالمية، ووصل بعضه الآخر إلى الأفراد، أما القسم الأكبر من المخطوطات اليمنية النفيسة فما يزال حبيس المكتبات اليمنية والبيوتات الخاصة، والتي يُقدّر عددها بعشرات الآلاف من المخطوطات النادرة. ومما يؤسف له أن هنالك عصابات تعمل على تهريب وبيع الآثار اليمنية كالتماثيل، والنقوش المسندية، والمسكوكات النقدية، وكذلك المخطوطات، غير مبالين بأهمية هذا الموروث الحضاري لليمن واليمنيين.

هـوامـش:

المصدر الرئيس: كتاب مصادر تاريخ اليمن في العصر الإسلامي لأيمن فؤاد سيد، عن المعهد العالي الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة، 1974م. *الدفتردار أكبر منصب للشؤون المالية في الدولة العثمانية، يقابله في يومنا وزير المالية.

الفلسفة بين العقل والوحي: قراءة في فصل المقال لابن رشد.

خالد اليماني
كاتب وباحث في الفلسفة.

في مؤلفه "فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال"، يبدأ ابن رشد (1126م- 1198م) بسؤال محوري: هل النظر في الفلسفة وعلوم المنطق مباح في الشرع أم لا؟ هذا السؤال، الظاهري البساطة، يخفي خلفه أزمة شرعية وفكرية امتدت قرونًا، تفاقمت خاصة مع تأثير فكر الغزالي، الذي شنّ حملة فكرية عنيفة ضد الفلاسفة، وصولاً إلى تكفيرهم في بعض المسائل الجوهرية مثل قدم العالم والمعاد*. وهنا، يتدخل ابن رشد لا للدفاع فقط، بل لتقويض الأساس الذي قامت عليه هذه الاتهامات، عبر تفكيكها من داخل المنظومة الشرعية ذاتها.

ابن رشد لا يقف موقف الخصم، بل موقف الحليف الحريص على الجمع لا التفريق. منطلقه أن الشرع يدعو إلى النظر العقلي، وإلى التأمل في الوجود كآية دالّة على الخالق. من هنا، يرى أن ممارسة الفلسفة ليست فقط مباحة، بل واجبة، لأن الله أمر باستخدام البصيرة والتفكّر. الآيات القرآنية، مثل: {فَاعْتَبِرُوا يَا أُوْلِي الأَبْصَارِ} [الحشر : 2]، و{أَوَلَمْ يَنظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ} [الأعراف: 185] ليست تأملات شعرية، بل دعوات للتفكر البرهاني، وهي عنده حجج شرعية تقيم على المسلم مسؤولية عقلية لا تقل أهمية عن الواجبات التعبدية.

ويذهب ابن رشد إلى أبعد من ذلك في الدفاع عن المنطق، معتبرًا إياه الأداة الوحيدة لترتيب الفكر وضبط مسالكه. ولذلك، فإن الاستفادة من علوم الأمم السابقة، حتى ولو كانوا من غير المسلمين، تصبح أمرًا مشروعًا بل ضروريًا إن كانت علومهم توافق الحق. فالحكمة ضالة المؤمن، والحق لا يُناقض الحق. كل منع للفلسفة ناتج عن جهل بها، لا عن فساد فيها. فالفيلسوف لا يخترع الحقيقة، بل يبحث عنها، سواء وجدها في القرآن أو في كتب اليونان.

الخطوة الأعمق التي يقوم بها ابن رشد هي دفاعه عن البرهان العقلي كأداة تأويل شرعي. لا ينكر التفسير الظاهري للنصوص، لكنه يمنح الفيلسوف الحق، بل الأفضلية، في تأويل النصوص الدينية متى تعارضت مع البرهان اليقيني. ليس نزعًا لسلطة الفقيه،

بل توسيعًا لأفق الشرع ذاته ليشمل كل من امتلك أدوات البرهان. عنده، الحقيقة الدينية والحقيقة الفلسفية تنبعان من مصدر واحد: الله. وإذا بدت متناقضة، فإن المسؤولية تقع على عاتق المفسر، لا على النص.

في قراءته لهذا النص، يؤكد محمد عابد الجابري أن مشروع ابن رشد هو محاولة لإعادة تأسيس العلاقة بين الدين والعقل على أساس من التكامل لا التعارض، وذلك داخل سياق تاريخي شهد محاولات تهميش العقل وإقصاء الفلسفة. يرى الجابري أن "فصل المقال" لا يمثل فقط موقفًا دفاعيًا، بل يمثل أيضًا تأسيسًا لفكر عقلاني عربي-إسلامي، قاعدته أن العقل والوحي ليسا في صراع، بل في تعاون مستمر، حيث يعمل الوحي على هداية الناس، ويعمل العقل على فهم هذه الهداية وتنزيلها في الواقع. ينتهي ابن رشد إلى أن: "الحق لا يضاد الحق". لا يمكن أن يتعارض ما جاء به البرهان مع ما جاء به الوحي. وإذا بدا هناك تعارض، فهو تعارض في الظاهر لا في الجوهر، يستدعي التأويل لا التكفير. بهذا، لا يقدم ابن رشد مجرد دفاع عن الفلسفة، بل يفتح بابًا جديدًا في الفكر الإسلامي، يجعل من العقل شريكًا للوحي، لا تابعًا له ولا خصمًا.

وفي زمن يتكرر فيه الصدام بين العقل والنقل، بين الفلسفة والدين، تبقى كلمات ابن رشد حية ومُلهمة: "الحق لا يضاد الحق، بل يوافقه ويشهد له". إن إعادة قراءة "فصل المقال" ليست مجرد تمرين فكري، بل ضرورة حضارية، تدعونا إلى تجاوز الثنائيات القاتلة، وإلى بناء مشروع فكري يقف على أرضية العقل والوحي معًا، لا على أنقاض أحدهما.

هـوامـش:

1. ابن رشد، فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال.
2. محمد عابد الجابري، بنية العقل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1986.

- **حقوق هذه اللوحة لصالح المجلة.**

ظل يس.

إيمان البشاري
قاصة يمنية.

تعود إلى أحاديثنا القديمة حكاية العملاق الذي يصدّ ألوان الشرور عن صنعاء كلما حدق بها خطر، أو تراءى في الأفق ما يوحي بخراب. يهبّ حينها، أبيض كالنور، في منامات العجائز. تراه كل واحدة على طريقتها، لكن الملامح واحدة: رجل عملاق، أبيض كأنه قطعة من سحاب، يلبس ثوبًا أبيض وعمامة بيضاء، ويمسك جبال صنعاء بأذرع كثيرة، لا يُرى لها آخر. عيناه لا تحدقان في شيء، بل في كل شيء، صوته مزيج من ريح الشتاء وآيات قديمة.

يسأله العابرون في المنام من أنت؟ فيجيبهم بنبرة تسكن القلب: "أنا يس." ويصحو النائم ليبشر جيرانه. يقولها كما سمعها، وربما يضيف من عنده، فلا أحد يراجع المنام إذا جاء بالطمأنينة. وتنتشر الرؤيا في الأزقة كالماء، كأنها تُرى للمرة الأولى، رغم أنها تُروى منذ قرون. يبتسم الناس في صنعاء، وتقول العجائز: "صنعاء في يد الله." ويكرر الخائفون تبشايرهم القديمة كأنها آيات جديدة. في كل حيّ، رجل أو امرأة رأت يس. في كل بيت، نسخة من الحلم تروى على المقيل، في الغسل، في الفجر، وكلها تتفق: من يصدّ الشر عن صنعاء هو يس، وسورة يس، وذاكرة الجامع الكبير.

صنعاء... الروح التي نحبها ونحلم بهجرها. نحلم بالمغادرة وكأننا لا نعلم أن أهواءنا متناقضة، نريد مغادرة البدائية، وهجر أناسنا الذين ابتلوا بالبارانويا، وننكر ذلك بإصرار. نحن المصابون بوهم التفوق، والغرور الطبقي، لكن لهذا الوهم ما يبرره: سنوات تمر، يلمّ بها الشر صنعاء كما تلمّها الغيوم، دون أن تمطر خرابًا كما تمطره على سواها. وفي كل مرة ينجو أحد، يقولها بيقين المحميّ بالقدَر: "صنعاء في يد الله." هذه المدينة... فقيرة إلا من جامعها الكبير، حيث الذاكرة تحرس الأرصفة. مدينة تشبه ريفًا متحضرًا، ترك فيه الأتراك أطيافًا من النظام والمخمل. ظننا أنفسنا طبقة راقية ونحن نقتات على صور الأجداد وأوهام الدولة. "يس" ليست اسمًا في المنام فقط. هي فكرة. والفكرة لا تموت. هي الطريقة التي يجلس بها الشيوخ في زوايا الجامع الكبير، والطريقة التي يعيشون عليها، تلك التي تربّت عليها صنعاء، في ظلال الجبال وفي حضن العجائز. هي آثار أولئك الذين لا نعرف أسماءهم، لكن نعيش بفضل ذكراهم. هي سلطتهم: سلطة الذاكرة، المقابر، والمرويات. هي الفقر المغلّف بالمخمل. هي "الكنن والفجا"، الحكمة والخوف، الزهد والبخور، الله وسورة يس. صنعاء فقيرة... فمن يطمع فيها؟ سواء تلونا "يس" أم لم نتلُها، العملاق الأبيض سيظل يصدّ الشر عنها... أو هكذا نحب أن نعتقد.

صنعاء بلسان أهلها: أناقة اللهجة وجمالها.

عفاف غليس
قاصة.

تُعد صنعاء العاصمة اليمنية أقدم المدن في العالم بعمر يناهز 12.000 سنة، وقد قيل أن من بناها هو سام بن نوح عليه السلام، ولاتزال هذه المدينة تحتفظ بلهجاتها المميزة والتي تعتبر أحد أجمل اللهجات اليمنية المتنوعة وأكثرها رقة وأدباً إن جاز التعبير، ومما يلاحظ أن سكان صنعاء يتميزون ببعض المفردات اللطيفة التي تذيل حواراتهم أو ترافقها، ومن أمثلتها المشهورة إضافة واو الجماعة للضمائر وللأفعال، كذا إطلاق صفات معينة حال التّحدث مع الأشخاص الأكبر سناً كالأب أو الأم أو الأجداد والجدات وغيرهم من الأقارب أو المعارف، ومثال ذلك أنتم بدلاً عن أنت للمخاطب - أمي عادهم ما جاو للتحدث عن الغائب، أو ما تشتوا في حال الإجابة عن السؤال.

استخدام الصفات مثال أبي سِيد، جدي، أمي حنج، الجدة، ويسبق لفظ أمي أو أبي الاسم حينما يتحدث الشخص عن الخالة أو العم أو حتى الجيران، مثال أمي لطيفة جارتنا، أبي علي جارنا، ومما يلاحظ أيضا استخدام بعض العبارات الاعتراضية أن صح التعبير خلال الحوارات العامة تأدباً مع المستمع، مثال (حاشيكم – حاشاكم) في حال ذكر شيء قد يثير التقزز، (القمامة حاشيكم ملان الشارع) وتستخدم هذه العبارة أيضاً في عدة مواضع فعند إغلاق الباب في وجه الشخص أو مد الأرجل أمامه وكذلك عند التفل في المتفل الخاص بالقات، وهناك الكثير من العبارات التي تستخدم لتطييب الخاطر أو الشكر والامتنان ومن أشهرها:

- قويت
- جعل لي مكسر
- ياسين عليك
- لش القوى والضياء
- عيجبرني براسك
- ما نسخى عليكم

وغيرها كثير، ويستخدم أهل صنعاء ألفاظ أكثر لياقة للأماكن المُستقذرة كالحمّام فيطلقون عليه المُطّهر، ومن يريد استخدامه فهو يقول للمخاطب: _ أشتي أريق الماء – تأدباً معه، وكما يلاحظ المتجول في أسواق صنعاء القديمة تلطف الباعة للمشترين أو المتجولين فيها وملاطفتهم بكلمات كسيد الناس، أو أبي وعيني، وتذييل الحوارات بعيني أو من عيني، كرمت وسلمت، هذه بعض من العبارات المشهورة والقائمة تطول ولا مجال لذكرها هنا وكما قال المثل صنعاء حوت كل فن، وفعلا هي الفن كله بدأٌ من بنيانها وانتهاءً بلهجة أهلها ولطف كلامهم.

مجلــة أوام الثقــافية

مجلــة ثقــافيــة ، فصليــة ، غيــر هــادفــة للــربــح ، نسعــى . مــن خــلال الأدب . لنشــر ثقــافــة الســلام و التعــايــش .
مجلــة أوام الثقــافية مستقــلة و لا تتبــع أو تستقــي أوامــر أي جهــة ســواء كــانــت حكــوميــة أو مكــوّن سيــاسي أو دينــي أو تنظيمــي غيــر ربحي .

الحقــوق الثقــافيــة :

جميــع الحقــوق الفكــرية محفــوظة للمجلــة و لا يجــوز الاقتبــاس أو إعــادة النشــر إلا بــذكر المجلــة و الصفحــة كمصــدر .
لأن مجلــة أوام الثقــافيــة غيــر ربحيــة فهــي تسمــح بطبــاعــة هــذا العــدد من المجلــة و تــداوله و بيــعه .